

تأليف

عبد الرحمن خليف



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله المباركات على خاتم النبيين ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعد فمن عجيب شأن الانسان أنه يغالبه الابتسام إذا استمع إلى قهقهة الضاحكين وتغرورق عيناه أو يجهش باكياً إذا استمع إلى من يبكى بحرقة ومرارة ، وقد يتثاءب بحضرته بعض الناس فيتثاءب معه من حيث لا يشعر .

ولا تتخلف استجابة الانسان لمثل هذه المؤثرات الا لمانع يلمّ به فى ذلك الحين .

هكذا أوجد الله الانسان ، قابلاً للتأثر بغيره ، وللتأثير فى غيره .

واعتباراً لهذه الحقيقة حذّرت الشريعة من التعرض إلى بعض المؤثرات ، حتى لا تستدرج الانسان إلى الخطيئة ، فقد قررت غضّ البصر عما لا يحلّ ، ونهت عن الاستماع إلى ما يحرم ، ودعت إلى اجتناب ما يشتبه من الأمور .

هذه نماذج من الحقائق التى قررها الاسلام ، حماية للإنسان من التورط فى الخطيئة لأنه مخلوق متأثر بطبعه .

أما من حيث أنه مؤثر فقد شرع الله له أن يأمر بالمعروف

وينهى عن المنكر ، لينقذ غيره مما لا يليق بكرامة الانسان . فاذا قام ـ عن اذن ربه ـ بهذه المهمة كان له حظ من التأثير عظيم .

ومن هذه اللفتة السريعة لأنماط قليلة من أحكام الاسلام ، يتبين أنها ما شرعت إلاّ ملائمة لطبيعة الانسان من حيث أنه متأثر ، ومؤثر .

ولما اكتشف الانسان من ذاته هذه الحقيقة أخذ يستغلّها استغلالاً هائلاً ، فنراه قد نجح فى تطوير وسائل التأثير بصورة مذهلة ، كما نرى نشاطه فى هذا المجال قد تميّز بظاهرتين عجيبتين :

الظاهرة الأولى تتمثل فيما ابتدع من وسائل التأثير ، وحرصه المتواصل على تنويعها ، وتوسيع آفاقها .

لقد طوّر استغلاله للطباعة تطويراً ما عهدت البشرية مثله فى تاريخها الطويل ، وتدفّق نشاط المطابع ، حتى كادت ثوانى الزمان تعجز عن ملاحقتها وهى تدأب ليلاً ونهاراً ، لإخراج ما لا يحصى من الاعلانات ، وشتى أنواع الكتب والصحف والمجلات ، ويكاد ينحصر ذلك النشاط الرهيب فى التأثير على الانسان .

أما الاذاعات فهى تبث على جميع الموجات ، ولا تنقطع الا لتستأنف البّث المغرى بمختلف ألوان الاغراء .

وظل مُصَوّرُو الأفلام يتسابقون تسابقاً مضنياً ، ويتهالك بعضهم فى كل مهلك إذا كان ذلك يساعده على أى قدر من التأثير .

ثم جاء التلفاز فاستأثر بالحظ الأوفر من عناصر التأثير ، إذ كان يجمع بين الكلمة المقروءة ، وبين الصورة والصوت ، فاحتوى على خصائص كل ما سواه ، وتفوّق على غيره بما توفّر لديه من إمكانات عجيبة ، فبات يؤثر أعظم التأثير ، من غير أن يكلف أى مجهود .

كل هذه الوسائل التى اهتدى إليها الانسان ، ليس لها من هدف الا الانسان .

إنها تتنافس فى الحصول على أكبر قسط من التأثير عليه ، ولم تترك أى موطن لم تطوقه فيه ، فهى تلاحقه فى مركز عمله ، وتحيط به فى الشارع ، وفى النادى والبيت ، وفى القطار والطائرة ، وفى المستوصف والمستشفى ، وفى المدينة والبادية ...

وما من شك فى أن تلك الوسائل أصبح لها أثر بعيد المدى فى حياة الانسان المعاصر ، وظل تأثيرها عليه واضحاً ، ولو أنه على تفاوت بين الناس ، وذلك لتمتعها بسعة الآفاق ، وسرعة الانتشار ، ولتمكنها من ملاحقة الانسان أينما يكن الانسان .

أما الظاهرة الثانية فتتمثل فى استخدام تلك الوسائل استخداماً ضاراً بالانسان ، فكم من جهة استغلتها فزخرفت بها الضلال ليبدو فى صورة الحق ، وكم من جهة زيّنت بها الباطل لتقدمه كمثال أمين للهدى والصواب ، وكم من جهة أثارت بها فتنا كانت أشدّ من القتل ، وكم تسرَّب من جميع خدعها الماكرة ما قوّض أسس الفضائل ودمّر عناصر النبل

والمروءة فى الانسان .

لقد سقطت دنيانا الآن فى خضم متلاطم من وسائل الاعلام ، وتقاذفتها تيارات صاخبة باتت كلها تتصارع على فريسة واحدة هى الانسان .

وفى هذا الصخب المذهل يكاد الانسان المسلم لا يسمع الا صوتاً واحداً يعلو بالحق لكنه لا يرتفع مرة فى الأسبوع الا ويصمت صمتاً تاماً حتى تتم دورة الأسبوع . ذلك هو صوت خطيب الجمعة .

ما عسى أن يكون لهذا الصوت من قوّة لإنقاذ الغرقى فى محيط من المؤثرات الغامرة والتيارات الخدّاعة الماكرة ، وهل تضىء الشموع آفاق الصحارى فى ليل حالك الظلام ؟

ومن المؤسف أن هذه الشموع ـ مع أخذها فى التكاثر ـ قد تضاءل ضوؤها ، وضعف الاهتداء بنورها ، فتبدّد السائرون فى ظلمات المسالك على غير اهتداء .

ولقد أصبح من الحقائق الواضحة أن خطبة الجمعة ضعف أثرها فى معظم المجتمعات الاسلامية ، ويبدو أن لذلك الضعف أكثر من سبب ، وأعظم تلك الأسباب خطورة هذه الأربعة :

١ ـ أن خطابة الجمعة نراها تسند لغير الأكفاء فى كثير من بلاد المسلمين .

٢ ـ أن بعض ذوى الكفاءة إذا اسندت إليهم هذه المهمة لا يُولُونها ما تستحقه من الاهتمام ، فكأنها فى اعتبارهم صورة مألوفة

لعمل رتيب .

أما أن تستجيب لما تدعو إليه أوضاع المسلمين فهذا أمر قلّما يعتبرونه من مهمات الخطيب .

٣ ـ أن خطبة الجمعة ـ ولو بثتها الاذاعة ـ لا ينصت إليها اليوم بشيء من الاهتمام الا المصلون من المنتسبين إلى الاسلام .

٤ ـ أن ما تَبْنِيهِ يدُ الخطيب الواحدة فى دقائق من الأسبوع يهدمه ما لا يحصى من الأيدى المدمرة ، والتى تنشط بلا انقطاع آناء الليل ، وأطراف النهار .

من كل ما تقدم يتبين أن الأمر أصبح على جانب من الخطر عظيم ، وفى هذه الأجواء العصيبة تراءى لى .

١ ـ أن استنجد بجميع من ولّاهم الله تدبير شؤون المسلمين لمجابهة هذه الأخطار . ولعل النهوض بخطبة الجمعة يكون أول خطوة ثابتة فى الطريق السليم ، فان الاسلام ما أوجبها الا لتؤدى أعظم المهام فى حياة المسلمين[1]

---

(١) اختصر هنا ما أراه مساعداً على النهوض بالخطابة الدينية فى نقط سبع ، ولو أن بعضها لا تتحقق نتائجها فى زمن قريب ، وهى :

١ ـ تطوير المؤسسات القائمة بتخريج الخطباء والدعاة .

٢ ـ تحوير برامج الدراسة فى هذه المؤسسات ، حتى يدرج فيها علم النفس التربوى ، ومبادىء أشهر المعتقدات لدى غير المسلمين ، وأشهر المذاهب الاقتصادية ، وتاريخ الاستعمار ، وحركات الاستشراق والتنصير والصهيونية والماسونية كل ذلك مضاف إلى علوم القرآن والسنة والعقيدة والفقه والسيرة ، والخطابة وأصول الدعوة وتوزعها لجنة فنية على سنوات الدراسية .

٣ ـ انتداب الخطباء الأكفاء فى المستقبل دون سواهم .

٤ ـ تعويض العاجزين وشبههم بخطباء أكفاء .

٢ ـ أن أساهم فى تنشيط مهمة المسجد بهذا الكتيّب ، راجياً أن يساعد من يكون فى حاجة إلى المساعدة من الأخوان الخطباء ، حتى تتظافر الجهود لاحياء دور المنبر فى صيانة صرح المجتمع المسلم .

والله ولىّ المؤمنين ، وبيده الهداية والتوفيق .

القيروان فى ٢٧ محرم ١٤٠٤هـ الموافق ١/١١/١٩٨٣م

عبد الرحمن خليف

---

٥ ـ الاكثار من فتح دورات تدريبية لمن هم فى حاجة إلى المزيد من التدريب .

٦ ـ ترغيب الشباب أن يتخرجوا فى شعبة الخطابة والدعوة ، بمكافآت جيدة ليتفرغوا لها باهتمام .

٧ ـ إيجاد مصلحة رشيدة تقوم بالمراقبة والمساعدة والتوجيه لخطباء الجمعة بلا انقطاع .

القسم الأول

مؤهلات الخطيب

اختيار الموضوع

يفكر الخطيب أحياناً فى اختيار الموضوع الذى سيطرقه فيعجز عن الظفر بأى موضوع ، ولو بعد تفكير طويل ، واحياناً تنثال عليه المواضيع انثيالاً بمجرد ما يتّجه ذهنه إلى هذا الأمر ، وقد يحدث فى هذه الحال أن يقف موقف الحائر المتردّد فى تقديم بعضها على بعض ، من أجل ما قام لديه من اعتبارات تتنازع تلك المواضيع المتزاحمة فى ذهنه ، ثم لا بد أن يستقر رأيه على البدء بواحد منها ، وأيّاما يكن الموضوع الذى استقر رأيه عليه ، فينبغى أن يراعى فيه الاعتبارات التالية :

١ ـ أن يكون ذا صلة بالأحداث الجارية فى ذلك الأسبوع .

٢ ـ إذا لم يكن قد جدّ فى ذلك الأسبوع ما يستوجب لفت الانتباه إليه فليكن الموضوع علاجاً لبعض الانحرافات التى ألفها المستمعون فى بيئتهم الخاصة .

٣ ـ أن يكون موضوع الانحرافات المتأصلة معروضاً فى اسلوب جديد ، ولو أنه فى مضمونه قديم .

وعلى الخطيب أن ينتبه إلى أن الانحرافات المتأصلة لا بد أن يكون غيره من الخطباء قد سبقه إلى تناولها ، سواء فى البلد الذى هو خطيب فيه ، أم فى بلد آخر ، وليعلم أن بعض المصلين قد سبق أن سمعوا الحديث عنها ، فاذا لم يستفيدوا استفادة جديدة من الموضوع

المعاد عليهم تضاءلت قيمة الخطيب فى تقديرهم ، أو فى تقدير بعضهم ويكون ذلك سبيلاً إلى فتورهم عن الأخذ بتوجيهاته فى مستقبل الأيام .

ولقد شاع بين بعض المصلّين أن صاروا يقولون فى مثل هذه الحال : (أن ما سيقوله خطيبنا ما هو الا أمر معروف ، وكلام مألوف) .

وإن طرافة الأسلوب الذى يعرض به الخطيب أى موضوع مُعادٍ قد ترتفع بمستواه فتجعله فى تقدير السامعين بمنزلة الموضوع الجديد ، فيصغون إليه باهتمام . ويرتاحون إلى ما يَلْقون فيه من استفادات جديدة .

والاستفادة الجديدة قد تكون فيما يدخل على الموضوع المعاد من أدلة صائبة ، وأمثلة تقريبية واضحة . ومن أحداث شيقة ، إلى مقارنات مثيرة ، يستفيق بها الغافل . ويقلع من أجلها المصرّ على الانحراف إن شاء الله .

فاذا اهتم الخطيب بمثل هذه الجوانب وبذل فيها جهداً كافياً من التفكير الرصين . وعرضها باسلوب جديد وطريف ، فان ذلك لا بد أن يضفى على الموضوع المطروق قدراً عظيماً من عناصر التأثير .

٤ ـ إن من المواضيع ما يضطر الخطيب إلى تكرار القول فيه ، وذلك كموضوع الصيام عند حلول شهر رمضان وموضوع خطبتى العيدين ، وفى مثل هذه الأحوال لا يحسن بالخطيب ـ إذا كان ممن يحرّرون الخطب ـ أن يعيد ذات الخطبة بمادتها وشكلها وأسلوبها ، فان ذلك عيب كبير ، وكثيراً مايستهين به

بعض الخطباء . وهو من أعظم عوامل الزهد فيما يقوله . أو الحدّ من تأثير كلامه فى المستمعين .

٥ ـ ينبغى تجنب الأقتصار على المواضيع ذات الصبغة المحلية ، إذ من الواجب أن يتناول الخطيب بعض الأحداث العالمية خصوصاً ما يحدث فى العالم الاسلامى ليربط مشاعر المسلمين بإخوانهم . فان الله تعالى يقول : ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة . وأنا ربكم فاعبدون**﴾[١] ويقول نبينا ﷺ : **(من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم)** فكان من أوكد واجبات الخطيب أن يكون ذا اهتمام بأمور المسلمين . وأن يعمل على ربط اهتمام مستمعيه بتلك الأمور .

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢ .

اعداد الموضوع المختار

بعد اختيار الخطيب الموضوع ينبغي أن يفكر فيه ، ويدرسه من جوانبه المختلفة ، وليتخيّر لذلك ساعة فراغه ونشاطه ، وصفاء نفسه وتوثب همته ، فان ذلك الوقت أدعى إلى الاجادة ، وأقرب إلى الكمال .

وبعد تصور الخطيب لأبعاد الموضوع يقسمه إلى مجموعة من العناصر ، ويرتبها الترتيب المناسب . ثم يفكر فى طريقة تناوله لكل عنصر ، وفيما يدرج فيه من الكتاب والسنة وفيما يمكن أن يستنبط من الآيات والأحاديث . وفيما يصحب كل ذلك من عوامل التأثير فى تلك المجموعة الخاصة من المستمعين الذين تجمعهم بيئة مشتركة ، فاذا صادف أن انضمت إليهم مجموعة أخرى لها اعتبارها العدديّ ، كان على الخطيب أن يراعى مشاعر كل من هؤلاء وأولئك .

وعلى الخطيب فى المرحلة الأولى من تدربه أن يرسم العناصر وتوابعها على ورقة خاصة فى صورة مذكرة ، ثم ان كان ممن لا يحسنون الارتجال تولى تحرير الموضوع وتبسيطه ، ، فى ضوء ما كان أوجزه ورسمه فى صورة مذكرة . ويحسن أن يصوغ ذلك فى لغة سهلة خالية من السجع ، وفى جمل قصيرة بقدر الامكان .

وإن كان ممن تدربوا على الارتجال اكتفى بما حرّره فى المذكّرة ،

وكرّر النظر فيه حتى تنطبع أجزاء الخطبة فى ذهنه . ثم يتولى القاءها مستعينا بالله . وغير متقيد بذات الألفاظ المسجلة فى المذكرة .

إن الخطيب المرتجل يحتاج فى أول تدربه على الارتجال إلى أن يلخص موضوع الخطبة فى نحو صفحة أو أكثر . وبمتابعته للتدريب يصبح مكتفياً بأقل من ذلك . بل يصبح مقتصراً على ما يسجله فى شكل فهرس لعناصر الموضوع فقط . ولا بد أن ينتهى به الأمر إلى الاكتفاء بالتفكير فى جوانب الموضوع . من غير احتياج إلى كتابة أى شىء من الخطبة . وكلما كان دارساً للموضوع ملمّا بأبعاده . كان أقدر على الارتجال وكان انطلاقه فيه أمتع له . وأحظى لدى مستمعيه . وأحسّ عندئذ بارتياح شديد . لاكتشافه ما كان مخبوء فى ذاته من طاقة . ما كان يقدّرها حتى قدرها من قبل أن يشرع فى التدريب على الارتجال[1]

ومهما يكن اختيار الخطيب لطريقة اعداد الخطبة سواء اختار تحريرها بكل تفاصيلها . أم اقتصر على عناوين عناصرها . فان عليه أن يفى بكل ما يقتضيه بناء هيكلها .

بناء هيكل الخطبة

إن الهيكل الكامل لبناء الخطبة يتألف عادة من ثلاثة أجزاء . وهى :

١ ــ الاستهلال أو المقدمة .

---

(١) إن الحديث عن الارتجال أوسع من هذه الملاحظات العابرة . أنظر تفصيل الحديث عنه بصفحة ٣٣ .

٢ ـ المقصد أو الموضوع .

٣ ـ الخاتمة .

الاستهلال :

لا تستهلّ الخطبة الا بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، ذلك لأن الخطبة لون من ألوان العبادة ، وأشرف أنواع العبادة الصلاة ، والصلاة لا تفتتح الا بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، ولقد قال ﷺ : (كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم)[(١)]

قال الجاحظ أن خطباء السلف الطيّب ، وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدىء صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد «البتراء» ويسمون التى لم توشح بالقرآن وتزيّن بالصلاة على النبى ﷺ «الشوهاء»[(٢)]

وقال أيضاً : (قال عمران بن حطّان : (خطبت عند زياد خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة ، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن)[(٣)] .

ثم أن أهل هذا الشأن كثيراً ما استحسنوا أن تقع الاشارة فى مستهل الخطبة إلى الموضوع الذى سيتناوله الخطيب ، وذلك فى غضون التحميد ، أو الثناء على الله أو تمجيده ، أو التشهد ، أو

---

(١) رواه أبوداود عن أبى هريرة ، ورواه ابن ماجة والبيهقى فى السنن عنه أيضاً بلفظ : (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع)

(٢) البيان والتبيين ج٢ ص ٤ ، ٥ .

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ٤ ، ٥ .

الصلاة على النبى ﷺ ، أو فى أثناء ذلك كله ، وسمّوا هذه الاشارة الاشارة (براعة الاستهلال) وما استحسنوها الا من أجل أن يتهيأ بها السامعون إلى تلقى الموضوع ، فيكون ذلك أدعى إلى تطلعهم إلى الاستفادات الجديدة المنتظرة من الخطيب ، والتى يتوقعون أن تتفوّق على ما عندهم من علم بذلك الموضوع .

ولا تحسن تلك الاشارة الا إذا كانت اشارة خاصة بحيث يتضح منها موضوع الخطبة ، أما إن كانت عامة كالاشارة إلى الدِّين أو إلى الطاعة بوجه عام مثلاً ، فانها أبعد ماتكون عن الوفاء بحسن الافتتاح عند علماء البيان .

ولقد نقل الجاحظ عن عبدالله بن المقفع أنه قال : (وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته)[١]

وعلق عليه الجاحظ فقال : (كأنه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة المواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فانه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ، ولا يشير إلى مغزاك ، وإلى العمود الذى إليه قصدت ، والغرض الذى إليه نزعت)[٢]

قيل لابن المقفع : (فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ فقال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدوّ ، فانه لا

---

(١) المصدر السابق ج١ ص ١٢٩ .

يرضيها شيء ، وأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا تناله ، وقد يقال : رضا الناس شيء لاينال)[1]

المقصـــد :

المقصد هو الموضوع الذى يتناوله الخطيب ، وينبغى أن يراعى فى عرضه أموراً ، بعضها واجب ، وبعضها مستحسن ، وبعضها متحتم فى بعض الأحوال .

ما يجب فى المقصد :

تجب فى عرض المقصد ستة أمور .

١ ـ وحدة المقصد :

إن وحدة المقصد أمر ضرورى ، إذ لا يحسن أن تكون الخطبة ذات مواضيع مختلفة الا إذا دعت إلى ذلك ظروف خاصة بالمستمعين ، وقصد الخطيب أن يبادر إلى تلافيها جميعاً فى مناسبة معيّنة .

٢ ـ الايضاح الكافى :

لا بد من توضيح المقصد بأحسن بيان مع الاستعانة على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة ، وبضرب الأمثال ، وعرض بعض القصص الوجيزة المناسبة ، تأسيساً بكتاب الله تعالى فى ضرب الأمثال ، وتوجيه الأمة إلى الاعتبار بقصص من تقدمها من الأمم .

---

(١) المصدر السابق ج١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

٣ ـ التحرى الدقيق :

على الخطيب أن يتحرى الصحة لكل نص يريد نقله ، فينقله بمنتهى الدقة وأن يتجنب نقل واهى الآثار ، وضعيف الأخبار ، متحاشياً صنيع بعض الخطباء والدعاة الذين ينقلون أحيانا ما يتنافى تماما مع الحقائق الدينية الثابتة وحجّتهم فى ذلك أن بعض كتب التفسير أوردت ذلك ، مع أن بعض كتب التفسير اشتملت على ما لا يصح على الاطلاق .

قال السيوطى : (ثم جاء بعد عصر التابعين من جمع التفسير ودوّن ما تجمّع لديه من ذلك ، فألفت تفاسير تجمع أقوال النبى ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين مع ذكر الأسانيد ، كتفسير سفيان ابن عيينة ووكيع بن الجراح وغيرهما ممن تقدم ذكرهم .

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام ألفوا فى التفسير فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال غير معزوّة لقائليها ، ولم يتحروا الصحة فيما يروون ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل .

ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شىء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجىء بعده ، ظانّاً أن له أصلاً ، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف[١]

وقال الأستاذ محمد حسين الذهبى : (وفى الحق أن هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً ، لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر فى هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها مافيها من الاسرائيليات والقصص المخترع على

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ج٢ ص ١٩٠ .

أنه صحيح كله ، مع أن فيها ما يخالف النقل . ولا يتفق مع العقل .

وإذا كان للوضع خطره . وللاسرائيليات خطرها ، فان هذا الخطر كان من الممكن تلافيه لو ذكرت لنا هذه الأقوال بأسانيدها ، ولكن حذفها ــ وللأسف ــ عمّى علينا كل شيء ، وليت هؤلاء الذين حذفوا الأسانيد وعُنُوا بجميع شتات الأقوال فعلوا كما فعل ابن جرير من رواية كل قول باسناده . فهو وإن كان لم يتحرّ الصحة فيما يرويه ، إلاّ أن عذره فى ذلك أنه ذكر لنا السند مع كل رواية يرويها ، وكانوا يرون أنهم متى ذكروا السند فقد خرجوا عن العهدة ، فان أحوال الرجال كانت معروفة فى العهد الأول ، وبذلك تعرف قيمة ما يروونه من ضعف وصحة)[1]

٤ ــ الجمع بين التبشير والتحذير :

لا بد فى الموضوع الواحد من الجمع بين التبشير والتحذير ، ولا يعدل عن هذا المنهج الا فى الحالات النادرة ، ذلك لأن الجمع بينهما هو المنهج الذى اختاره الله لاصلاح عباده . فالله سبحانه ما أرسل رسله الا مبشرين ومنذرين . والرسل عليهم الصلاة والسلام هم قدوة كل داع إلى الله .

وإذا تأملنا فى القرآن العظيم وجدناه منزّلاً على الجمع بين التبشير والتحذير ، فمن أمثلة ذلك هذه الآيات :

﴿نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب

---

(١) التفسير والمفسرون ج١ ص ٢٠٢

الأليم﴾[1] .

﴿إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾[2]

﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . وان ربك لشديد العقاب﴾[3] ... الخ

حتى أنه إذا ذكر صفات أهل السعادة ذكر معها صفة من صفات أهل الشقاوة ، فهو يقول :

﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾[4] . **﴿وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة .. وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية﴾**[5]

ويقول : **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾**

فعقبه بقوله : **﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾**[6]

ويقول : **﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**

فقابله بقوله : **﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو**

---

(١) سورة الحجر آية ٤٩ و ٥٠ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٦٧ .
(٣) سورة الرعد آية ٦ .
(٤) سورة عبس آية ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ .
(٥) سورة الغاشية آية ٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩ .
(٦) سورة الليل من آية ٥ إلى ١٠ .

ثبورا ويصلى سعيرا﴾[1] .... الخ .... الخ

إن السر فى هذا الجمع واضح ، ذلك لأن القرآن يخاطب أصنافًا مختلفة من الناس . فمنهم من تسوقه الرغبة سوقًا إلى فعل الخيرات واجتناب المحذورات . ومنهم من لا يستجيب لذلك إلاّ إذا صدعت قلبه قوارع التهديد .

ولا شك أن الخطيب يقف فى مجموعة من الناس تختلف أمزجتهم ومشاعرهم اختلافا بينا ، وانه لموقف يدعوه ، إلى إنتهاج هذا المسلك الرشيد . لكنّ هذا لا يعنى أن يكون كل موضوع مشتملاً على التبشير والتحذير ، بل إنَّ ذلك ينبغى أن يحدث ، فى غالب الأحوال وأكثر المواقف . وقد يقتصر على أحدهما عند الاقتضاء ، وهذا هو ما نجده فى القرآن العظيم ، لأن من سورة ما لم يشتمل الا على أحد هذين العنصرين . فالتحذير المحض فى سورتى التكاثر والهمزة ، والتبشير المحض فى سورة الكوثر . ولكن الاقتصار على أحدهما نادر جداً فى القرآن كما ترى .

٥ ـ تجنب المجازفة بادعاء المعرفة لما لم يعلم :

على الخطيب أن يحذر الحذر التام من الكلام فيما ليس له به علم ، خصوصاً فيما يكون من دقائق العلوم التى لا صلة له بمعرفتها ، فان مثل ذلك لا يأمن فيه من الخطأ أو الارتباك ، فينحط من أجل ذلك اعتباره فى نفوس أهل المعرفة بذلك الأمر ، كما لا يأمن أن تتطور استهانتهم به فتتحول إلى الاستهانة بكل ما يدعو إليه مما ليس

---

(١) سورة الانشقاق من آية ٧ إلى ١٢

لهم به علم ، قياساً على ماهم به علم ويكون الخطيب بهذا التصرف مسيئًا من حيث أنه يريد الاحسان .

٦ـ تسلسل أجزاء الموضوع :

ينبغى أن تكون أجزاء الموضوع متسلسلة بصورة يفضى فيها كل جزء إلى ما بعده ، وأن تكون حلقات السلسلة مفضية إلى النتيجة المقصودة .

ما يستحسن فى المقصد :

يستحسن فى المقصد كل ما له أثر فى رفع مستوى الخطبة ، ويرجع معظم ذلك إلى إثارة الشعور ، وبعث الاهتمام وتحريك النشاط .

إن أثر الخطيب فى المستمعين لا يعظم الا بمقدار قدرته على إثارة عواطفهم ، والاستحواذ على مشاعرهم ، وهذه الاثارة تتوقف على عدة أمور ، منها :

١ ـ أن يكون الخطيب متقد العاطفة ، مأخوذاً حقاً بما يدعو إليه ، وأن يعمل على صوغ مشاعره بما يلائمها من الألفاظ ، ويصوّرها كأكمل وأروع ما يكون التصوير ، وبذلك تسرى حماسته وحرارة عاطفته فى إحساس المنصتين إليه ، وبمقدار ما فى عاطفة الخطيب من حرارة يكون اقتداره على إلهاب عواطفهم وتحريك مشاعرهم المختلفة ، من رغبة واشتياق ، إلى ندم وحسرة ، ومن تعجب واستياء إلى حنق واستنكار ،

ومن تفجّع واشفاق ، إلى غضب ونقمة ومن تطلع وانتظار ، إلى مسرّة وابتهاج . وهكذا تتسرّب مشاعره الحارة إلى نفوسهم ، فتفعل فيها ما يفعل السحر . وخصوصاً إذا كان العرض فى بيان رفيع وإلقاء جيّد . فإن ذلك هو السحر المبين ، أو لم يقل رسول الله ﷺ : **(إن من البيان لسحراً)**[1]

٢ ـ أن يكون ذا تصوّر مقبول ، بحيث يعرض الصور الطريفة الشيقة والبعيدة عن الأغراق فى المبالغات ، لتكون تلك الصور أداة لتقريب ما يدعو إليه من أذهان مستمعيه ، ولتحريك مشاعرهم وجذبهم إليه . وذلك من أعظم ما يساعد على تقبل ما يدعو إليه مبشّراً كان أو محذراً .

وتأمل الأثر العظيم الذى تحدثه أقوال الرسول ﷺ فى النفوس عندما يبشر بمثل قوله : **(مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فما يبقى ذلك من الدنس ؟)**[2]

وعندما يحذر بمثل قوله : **(مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدوابّ التى يقعن فى النار يقعن فيها . وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فذلك مثلى ومثلكم . وأنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار . هلم عن النار ، فتغلبونى فتقتحمون فيها)**[3]

---

(١) رواه أحمد عن ابن عباس .
(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبدالله .
(٣) رواه الشيخان عن أبى هريرة .

٣ ـ أن يحرص على الاهتمام بما يجدّد نشاط السامعين ويشدّ انتباههم إليه . ومما يساعد على هذا الأمر تنويع الأسلوب .

فتارة يعمد بعد المقدمة إلى أسلوب التساؤل . فيسأل ـ مثلاً ـ عن معرفة السامعين للحكم الشرعي فى قضية الموضوع . ثم يذكر أن من الناس من لا يعرف ذلك الحكم . أولاً يهتم بمعرفته على الوجه الحق . ويؤكد أنه لا يحسن بالمسلم أن يجهل مثل ذلك الحكم . مع أنه يتصل بحياته الشخصية أو بحياة المسلمين بصفة عامة . ويستغرب أن يبقى المسلم غير عالم به .

أو يتساءل عن علم السامعين بحادث اهتزت له القلوب وامتلأت منه النفوس ألماً وحسرة . ويذكر بعض أحداث الأسبوع التى كان لها فى القلوب والنفوس مثل ذلك الأثر .

أو يتساءل فى استغراب عن أسباب فتور العاطفة الدينية من بعض المسلمين . ويبين أن منهم اليوم من ﴿ **يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها** ﴾[1] ثم يستعرض بعض المظاهر التى تؤكد ذلك .

وبعد تساؤلاته يقوم بتوضيح ما يناسب كل نوع من هذه الأمثلة أو من غيرها .

إنَّ اسلوب التساؤل كثيراً ما كان يستخدمه رسول الله ﷺ فى مخاطباته فيقول : أتدرون ما كذا وكذا ؟ (**أتحبون أيها**

---

(١) سورة الجاثية آية ٨ .

الناس أن تجتهدوا فى الدعاء ؟ قولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[1] ... الخ كما كان ﷺ يستخدم نفس الأسلوب فى خطبة أحيانا . فيقول : ـ كما فى خطبة الحج الأكبر ـ **(أى يوم أعظم حرمة ؟ أى شهر أعظم حرمة ؟ أى بلد أعظم حرمة ... ألا هل بلغت ؟)**[2] .

□ وتارة يعمد الخطيب إلى عرض قصة قصيرة ذات عبرة بالغة سواء أكانت من الأحداث الجديدة ، أم من التاريخ القديم ، ثم يربطها بالموضوع الذى يريد التكلم فيه ، ويسوق الشواهد على ذلك من نصوص الكتاب والسنة . ويحلل ويقارن ، ثم يستخلص النتائج والعبر .

□ وتارة يبتدىء بنص من القرآن أو السنة أو من كليهما ، فيفسرهما ، ويربط واقع الأمة أو تلك المجموعة بذات النصوص ، ويعبّر عن بالغ الألم فيما إذا كان واقع المسلمين لا يتماشى مع تلك النصوص .

□ وتارة يعمد إلى موضوع ثرىّ لا تتسع خطبة واحدة للاحاطة بأبعاده ، فيقسمه على عدّة خطب فى سلسلة ذات حلقات متواصلة ، وفى هذه الحال يحسن أن يختم كل حلقة بما يترك المستمعين فى تشوق إلى معرفة ما بعدها .

وعلى الخطيب أن لا يقتصر على تنويع أسلوبه من خطبة إلى أخرى ، بل ينبغى أن يسلك نفس المسلك فى الخطبة الواحدة

---

(١) رواه الحاكم عن أبى هريرة .
(٢) رواه أحمد وغيره عن جابر .

بالقدر المستطاع فانه كلما كان حريصاً على التنويع وجد قدرته عليه تتسع أكثر فأكثر ، ووجد أن المستمعين لخطبته أكمل انتباهاً وأعظم اغتباطاً .

ومع مراعاته للتنويع ينبغي أن يحذر من أن تكون بداية الخطبة أشد حرارة من نهايتها ، فان ضعف النهاية كفيل باضعاف حرارة البداية ، وربما قوّضت كل ما شيدته البداية ، فمن السداد أن تكون النهاية فى نفس المستوى الذى انطلق منه ، وأحسن من هذا الصنيع أن تكون نهايتها أقوى حرارة وأعظم تأثيراً ، ولا ضير فيما قد يتخلل الطرفين أحياناً من نزول عن مستواهما .

ما يتحتم فى المقصد أحياناً :

ان ما يتحتم على الخطيب فى بعض الأحيان هو أن يقيم الدليل على صحة ما يدعو إليه ، وعلى تزييف نظرية تتنافى مع ما هو مقرّر فى الدين ، أو على ابطال ما يتوهم بعض الناس أنه من الدين ، أو على الرد على إشاعة باطلة .

إن هذه القضايا واشباهها كثيراً ما تكون فى حاجة إلى تولّى الخطيب لتوضيح الحق فيها ، وإنارة الأفكار بشأنها ، والتوضيح لا يكون ذا أثر إلاّ إذا قام على أدلة مسلمة ، والدليل المستعمل فى الخطابة هو أحد نوعين :

الأول الدليل المنطقى .

والثانى الدليل الخطابى .

أما الأول فاستعماله فى الخطابة الدينية أقلّ من الثانى ، والمنطق لا ينبغى الا على مقدمات يقينية تفضى إلى نتائج قطعية ، وله أقسام وأحكام توجد مفصلة فى (علم المنطق) فمن أراد معرفتها فليطلبها فيه .

وأما الدليل الخطابى فيكون مبنياً على مقدمات قد لا يسلّم بها العقل المجرّد ، وهى التى يستند فيها الخطيب إلى أثر مشهور ، أو إلى مثل سائر ، أو إلى حكمة رائعة ، أو إلى عرف شائع ، أو إلى ما بين الأشياء من تماثل أو تخالف وهذه المستندات كثيراً ما ينشأ عنها اقتناع شعورى وتأثر عجيب . ومن أمثلة ذلك كلمة ألقاها محمد بن كعب القرظىّ بين يدى عمر بن عبدالعزيز قال فيها : (إنما الدنيا سوق من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ، وكم من قوم قد غرهم مثل الذى أصبحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبهم ، فخرجوا من الدنيا مُرملين[1] لم يأخذوا لما أحبّوا من الآخرة عُدة ، ولا لما كرهوا جنة . واقتسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم . فانظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت فقدّمه بين يديك حتى تخرج إليه ، وانظر الذى تكره أن يكون معك إذا قدمت فقدّمه بين يديك حتى تخرج إليه ، وانظر الذى تكره أن يكون معك إذا قدمت ، فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ، ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عندك ، يا أمير المؤمنين افتح الأبواب . وسهّل الحجاب ، وانصر المظلوم ، ورد الظالم)[2]

---

(١) أرمل نفد زاده فافتقر .

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ١٣٤ .

فهذه الكلمة قد اشتملت على طائفة من الأدلة الاقناعية كما ترى . وبذلك تحقق فيها عنصر هام من خصائص الخطابة ، وهو حمل السامع على الاقناع النفسى بما يتضمنه الخطاب .

الخاتمـــة :

هناك تعبير شائع بين الناس ، يعبرون به عن كل خاتمة طيبة ، وهو قولهم : (وختامه مسك) وهذا التعبير مستمد من القرآن فى وصف شراب أهل الجنة إذ يقول تعالى ﴿**يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك**﴾[1]

إن هذا الوصف الالهى الكريم يشعرنا بما للختام من أثر عظيم فى النفوس ، ولقد انتبه علماء البلاغة إلى هذه الحقيقة ، فتراهم يتبعون آثار عباقرة البلغاء ، ويعدون ارتفاع مستوى الخاتمة فى كل خطاب من أهم عناصر (علم البديع) أحد فروع علم البلاغة ، ويسمون ذلك (براعة الختام) .

كانت الخاتمة من أجل ذلك جديرة بمزيد العناية ، لأنها آخر ما يعلق بآذان السامعين ، فتكون أكثر استقرارا فى أذهانهم ، وأبلغ أثراً فى نفوسهم ، وعلى مستوى جودتها يكاد يتم ارتسام الصورة الانطباعية للخطبة كلها ، ولمبلغ الأثر الذى تتركه فى العقول وفى القلوب .

والخاتمة الجيّدة تتنوع فيها مناهج الخطباء ، فمنهم من يضمّنها تلخيصها لأهم عناصر الموضوع بأسلوب يغاير ما بسط به

---

(١) سورة المطففين آية ٢٥ و ٢٦ .

الموضوع ، وتكون آخر جزئية منها أحرّ نقطة مضت فى الخطبة .

ومن الخطباء من يجمع فيها أبلغ ما يحرك العواطف ويثير الحماس ، مستخدماً التساؤل . أو التعجب ، أو الاستنكار ، أو التفجع ، أو الاستياء ، أو التحسر . أو التأميل ، أو الابتهاج ... الخ .

ومن الخطباء من يجمع بين الطريقتين فى الخاتمة الواحدة ، وأيّاً ما يكن اختيار الخطيب لطريقة الخاتمة . فلا بد أن يتخير لها أنصع الألفاظ ، وأرشق التعابير . وأوجز التراكيب ، وأن يختمها بجوامع الدعاء للسامعين ولجميع المؤمنين . وخير الدعاء ما ورد فى كتاب وسنة رسوله ﷺ .

ومن أمثلة الخواتم الحسنة ما جاء فى خطبة لأبى حمزة الأزدى ، حيث تعمّد أن يجعل خاتمتها وصفا لأحوال الشهداء من أصحابه فقال : (... فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله . وكم من يد قد أبينت عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً ، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد .... ثم بكى وقال رحمة الله على تلك الأبدان . وأدخل أرواحهم الجنان)[1]

ومن الخطباء من يكاد يلتزم دعاء معيناً فى منتهى الخاتمة . قال ابن عبد ربه : (وكان آخر كلام أبى بكر الذى إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته :

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٦١ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٦١ .

«اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك» .

وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته :

«اللهم لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين»

وكان عبدالملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : «اللهم إن ذنوبى قد عظمت ، وجلت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى»)[1]

---

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٣ – ١٤٢ .

الارتجـــال

لا يخفى أن هناك فرقاً بين عرض الأفكار المرتجلة وبين الالقاء الارتجالى .

أما عرض الأفكار المرتجلة فهو عيب ينبغى اجتنابه ، ولقد شاع من مأثور كلام القدماء أنهم كانوا يستعيذون بالله من الرأى الفطير ، والعاقل هو من لا يستهين بالاقدام على عرض ما لم يكتمل نضجه من أفكاره ، فان ذلك مغامرة قلّما تسلم فيها العواقب ، ومن هنا رأينا فرسان البيان ما كانوا ينزلون إلى ميدان القول الا وهم على أتم استعداد .

روى ابن هشام فى السيرة النبوية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكّر الناس فى إحدى خطبه بما قد حدث عند مبايعة أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة فذكر أن أنصارياً تكلم قبله يومئذ ثم قال عمر : (فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زوّرت[1] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى أريد أن أقدّمها بين يدى أبى بكر .. فقال أبوبكر على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه . وكان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى[1] إلّا قالها فى بديهة أو مثلها أو أفضل)[2]

---

(١) تزوير القول تهيئته واعداده بعناية .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٣٠٩ طبع الحلبى ١٩٣٦ .

فاذا كان عمر يحتاج إلى تهيئة خطابه ، وانتقاء كلماته بعناية ، فهل يستغنى عن ذلك من يكون دون عمر تفكيراً وتعبيرا ؟ ولقد قال ابن المعتز :

الفكر قبل القول يُؤْمَنْ زيغه   شتّان بين رويّة وبديهة

والبديهة الصائبة قد تكون موهبة لبعض الناس ، كبديهة أبى بكر فى خطبته التى أشار إليها عمر رضى الله عنه غير أن فى كلام الجاحظ ما يدلُّ على أن البديهة سَجِيَّةٌ فى كل العرب ، فهو يقول : (وكل شىء للعرب فهو بديهة وارتجال ، وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا اجالة فكر ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى الرجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، فما هو إلاّ أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى ارسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ... وكانوا أمّيين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيّد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، أو يحتاجوا إلى تدارس ، وليسوا كمن حفظ علم غيره ، واحتذى كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب[٣]

---

(٣) البيان والتبيين

ومن يشتهر بالقدرة على الارتجال فى أيامنا هذه قد يفاجأ فى بعض المناسبات فيطلب منه أن يلقى كلمة فى موضوع ما . من غير إعداد سابق ولا اشعار متقدم . وقد يصحب ذلك الطلب إلحاح زائد ، وتتوجه إليه عيون الحاضرين فلا يجد مخلصاً من القبول ، فان كان جيّد الممارسة للارتجال كان آمناً من أن تَخْذِلَهُ قدرته فى مثل تلك الحال . ومع هذا فقد كان عليه أن لا يحضر مثل تلك المناسبات دون أن يستعد للكلام أتم استعداد ، توقعاً لكل طارئة ، فان لم يحدث ما توقعه ولم يفسح له مجال القول فليحمد الله على العافية .

وما من شك فى أن الخطباء المرتجلين لا بدّ أن تنال خطبهم أضعاف ما قد يكون لها من تأثير فيما لو قرئت من الورق ، خصوصاً إذا أعدوا الأفكار بعناية ورتبوها أحسن ترتيب ، واهتموا بمراعاة الالقاء .

أما القارىء لأى خطبة من الورق فما هو إلّا قارىء وليس بخطيب .

إن تواطؤ كثير من الخطباء اليوم على قراءة الخطب من الأوراق قد جرّأ من لا يحسنون إلاّ القراءة والكتابة على أن اعتقدوا أنهم أهل للخطابة مادام الخطابة بهذا المعنى لا يقتضى منهم الا أن يقتنى أحدهم كتاباً أو كتابين يشتملان على مجموعة من الخطب فى مواضيع متنوعة ، وفى كل أسبوع يختار منها موضوعاً يقرأ عليهم ، وبهذا التصرف يعتقد أنه قد أصبح مؤدياً لهذه المهمة على أكمل وجه .

وقد روى الجاحظ وغيره شعراً لأبى مسمار العكلى يثنى فيه على الخطيب المرتجل ، ويزرى بالقارئين من الورق ، فيقول :

(لله درّ عامـــر إذا نطـق فى حَفْلٍ إملاكٍ وفى تلك الْحَلَقْ
ليس كقوم يعرفـون بِالسَّرق من خـــطب الناس ومما فى الورق
يلفقون القول تلفيق الخرق من كل نضـــاح الجبين بالعرق
إذا رماه السامعون بالحدق)[1]

هل الارتجال سهل :

نعم ، ولا ..

نعم ، عند ما يتم استعداد الخطيب للارتجال .

ولا ، إذا اقتحم مجاله بدون استعداد .

إن الاستعداد الكامل للارتجال لا يتم إلّا إذا صحت فى المرتجل قوى ثلاث ، وهى :

- □ القوة النفسية .
- □ القوة العقلية .
- □ القوة البيانية .

وكل خطيب لا تتفوق قدرته فى مجال الارتجال الا بمقدار نماء هذه القوى فيه ، ولا تضعف قدرته الا بضعفها منه .

القوة النفسية :

إن أول مؤهلات المرتجل أن يكون متمتعاً بقوة نفسية كافية ،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٨ وفى رواية للجاحظ : من كل نضاح الذفارى ، والذفارى هو البدن ، وفى رواية : إذا رماه الخطباء ، والرواية التى اثبتها أنسب .

وهى التى يكون معها واثقاً بقدرته الكاملة على كل ما يقتضيه الموقف ، أما الضعف النفسى فهو أخطر الآفات التى تَخْذّل المندفعين إلى ميدان الارتجال .

ومن مظاهر الضعف النفسى أن المصاب به يضطرب ويتلجلج فى خطابه ، وقد تعتريه حبسة لا يستطيع التخلص منها فى موقفه ، وربما استحوذ عليه من أجلها خوف دائم ، فلا يعود معه إلى الارتجال فى بقية حياته .

إن الضعف النفسى ينتج عن عدة أسباب ، بعضها مستقر زمناً ليس بالقصير ، وبعضها طارىء مفاجىء ، ومن بين تلك الأسباب :

١ ـ تردد الخطيب فى القدرة على الارتجال ، ولو كان على حظ عظيم من القوتين العَقلية والبيانية .
٢ ـ توقعه لبعض المفاجآت التى يضخّم له الوهم أنواعها .
٣ ـ خشيته من العجز عن مجابهة بعض المفاجآت ، ومن عدم تحمله لمرارة الهزيمة .
٤ ـ خوفه من أن لا يظفر بارتياح المستمعين لما يلقى عليهم .
٥ ـ احساسه بهذه الأسباب أو غيرها فى صورة أمر مبهم ، لا يدرك له حقيقة ، ولكن رهبة الموقف الذى سيقدم عليه هى التى أبهمت عليه ذلك الأمر ، وطمست معالمه ، وضخّمت حجمه لديه ، فأصابه مجرد الوهم بالاخفاق ، قبل اقدامه على أى أمر يمكن فى الحقيقة أن يتسبب عنه الأخفاق .

إن هذه الأسباب المثبطة قلما تعترى النفوس المحصنة بالمران

على الارتجال فى الخلوات ، أو فى جمع صغيرة من الأصدقاء والأخوان .

فإن لم تحصّن النفس من قبل بالمران المناسب ، سطا عليها الضعف ، واستولى عليها الخوف ثم الانهيار .

إن علاج الضعف النفسى فى هذا المجال أمر ميسور ، وذلك باقصاء الهواجس المثبطة ، وطردها عن النفس ، وكلما مرّ بخاطره هاجس منها طرده سريعاً ، فلا يجترّه ، ولا يتركه يعود إليه قسراً . وكلما عاد إليه دفعه بضده . وأشعر نفسه بما يبعث فيها الثقة والاطمئنان ، وذكّرها بما عسى أن كان لها من مواقف الاقدام والثبات . وبما حققت فى تلك المواقف من نتائج ، كما يذكرها بمواقف الرجال المتفوقين فى هذا الميدان . وبأنهم ما انتهوا إلى تلك الغايات الا على مراحل لم تسلم لهم بدايتها من عثرات ، فلم ييأسوا من ادراك النجاح ، فكانوا لذلك من الفائزين .

كما يذكّرها بأن عقلاء المستمعين إليه لا بّد أن يلتمسوا له الأعذار فيما لو يتعثر بعض التعثر ، خصوصاً إذا كان فى بداية اقتحامه لميدان الارتجال ، فهم يدركون أن أصعب الأمور مباديها . وعلى احتمال أن تصيبه عثرات يحفظها عليه فريق من المستمعين ويعدّونها من عيوبه فليمثل بقول القائل : (كفى المرء نبلاً أن تعدّ معائبه) .

ويجب أن يطعن بعنف فى كل ما يساوره من أوهام التثبيط ، حتى يسلم منها ويصح نفسياً ، فينقلب تردده قوة

عزم ويقين . ثم ليتوكل على الله . وليشرع بكامل الثقة فى إلقاء خطبته بنفس مطمئنة لأن (إلقاء الخطاب بتردّد وهمة فاترة لا يكاد يكون له مفعول إيجابى . ولذلك يلجأ المتكلم إلى كيفية عكسية ويتخذ مظهر الواثق من نفسه بصورة جريئة ...

ومهما تكن شكوكه وتردداته وتهيباته التى تساوره . فإنه لا يسمح لها بأن تظهر عليه فى مسلكه ...

والاحساس فى سريرة نفس الشخص بأنه ـ يقيناً ـ على صواب قد يكون عوناً مهمّا فى أحداث هذا الأسلوب المطمئن الواثق . وإن كان هذا الاحساس فى الحقيقة غير ضرورى لذلك .

فالخطيب المحنّك الذى تعلم طريقة الأسلوب المطمئن الواثق يستطيع أن يجعل ذلك لنفسه كالقناع)[1]

القوّة العقلية :

النشاط العقلى فى الارتجال نشاط متسع الآفاق ، يستلزم حركة ذهنية سريعة بين كافة مراكز الاهتمام .

ولا يخفى أن مراكز الاهتمام متعددة فى كل خطاب ، ولا بدّ أن يظفر كل منها بِحَظٍّ من عناية الخطيب ، إذ أنها تستوجب سلامة أفكار الموضوع . وتنسيقها . وعرضها فى صورة مشرقة . وبسط الأدلة عند الاقتضاء . إضافة إلى العناية بجودة التعبير ورشاقته ، مع الاهتمام بعناصر التأثير . ومراعاة خصائص الالقاء الجيد ، وكل

---

(١) التفكير المستقيم ، تأليف روبرت هـ ثولس ص ١٤٣ مطابع اليقظة .

هذه الجوانب تحتاج إلى جهد مكثف . ولا يقتدر على الايفاء بهذه المتطلبات على أكمل وجه إلاّ من كان ذا قوة عقلية سليمة ، ولو لم تبلغ حد العبقرية أو ندرة النبوغ .

إن الضعف العقلى لا ينتج فى كثير من الحالات إلّا عن ترك الارتياض على التفكير السليم ، شأنه فى ذلك شأن الجسم . فكما نحس أن الجسم تتضاعف قواه بالارتياض والمران الكثير ، نجد العقل يزداد حدة وقوة بالتدرب على التفكير تحت مراقبة ماهرة ، وتوجيه سديد ، وفحص لنتائجه ، فيسهل بعئذ أن تصدر عنه النظريات الصائبة والأحكام السليمة .

أما من لم يكن ذا حظ من هذه القوة فانه يسهل أن ينخدع بمجرد النظر السطحى للأمور ، وتلتبس عليه الحقائق بالأباطيل فيخطىء من حيث يعتقد أنه يصيب .

وقد ينتج نوع من الوهن العقلى عن سبب عابر يعترى أصحاب العقول السديدة أنفسهم ، ومن الأسباب المؤثرة عليهم انغماس النفس فى حزن على شىء فائت ، أو استغراقها فى كآبة قاتمة لتوقع أمر مكروه ، أو إحاطتها بقلق شديد ناشىء عن بعض المضايقات ، أو لتواصل السهر والسهاد ، أو لمعاناة بعض الآلام الجسدية ... الخ

إن مثل هذه الأعراض قد يطول أمدها وقد يقصر ، وكلما طال أمدها كان أثرها أقسى ، وعلى الخطيب أن يحرص على التخلص منها ، حتى لا يقف المواقف وهو شارد الذهن مشتّت التفكير ، فان ذلك لا يساعده على الظفر بالاجادة المنتظرة ، بل انه قد يقع فى

الخطأ الفادح وهو لا يشعر .

القوة البيانية :

إن غاية كل خطيب هى أن يكاشف مستمعيه بما يزخر فى ذهنه من معان ، يفترض أن المستمعين بحاجة إلى ادراكها . وعلى وجه يستقبلونه بغاية الارتياح . وما من سبيل إلى بلوغ هذه الغاية الا قوة البيان .

والخطيب الأريب لا تقتصر مهمته على عرض أفكاره مُجَرَّدَ عرض . بل إنَّ مهمته ترتفع عن هذا الحد إلى المستوى الذى يصنعه البيان البليغ فى النفوس . وللبيان آفاق تكاد أَبعادُها تستعصى عن التحديد ، ولقد قال رسول الله ﷺ فى كلام ارتقى به صاحبه إلى أفق منها : **(إن من البيان لسحرا)**[١]

وسبب هذا الحديث أن عَمْرو بن الأهتم والزّبرقان بن بدر وَفَدَا على رسول الله ﷺ . فسأل الرسول عَمْراً عن الزبرقان ، فقال فى وصفه : مانع لحوزته[٢] مطاع فى أذينه[٣] فقال الزبرقان يا رسول الله إنه ليعلم منى أكثر مما قال . ولكنه حسدنى يا رسول الله فى شرفى ، فقصّر بى ، فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلاّ ضيّق الصدر ـ زمر المروءة ـ لئيم الخال ، حديث الغنى ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قولَه الأول . ورأى الانكار فى عين رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما

---

(١) رواه أحمد عن ابن عباس .
(٢) الحوزة مجال النفوذ .
(٣) أذين الرجل قومه الذين يقوم عليهم رعيماً .

علمت . وغضبت فقلت أقبح ما علمت . وما كذبت فى الأولى . ولقد صدقت فى الآخرة . فقال النبى ﷺ عند ذلك : (**إن من البيان لسحرا**)[1]

وقريب من هذا النوع البيانى (أن غيلان بن خرشة الضبىّ مرّ مع عبدالله بن عامر بنهر أمّ عبدالله الذى يشق البصرة ، فقال عبدالله بن عامر : «ما أصلح هذا النهر ، لأهل هذا المصر» فقال غيلان أجل والله أيها الأمير .

ـ يتعلم فيه العوم صبيانُهم .

ـ ويكون لسقياهم .

ـ ومسيل مياههم .

ـ ويأتيهم بميرتهم[2] .

ثم مرّ غيلان يُساير زياداً على ذلك النهر (وقد كان عادى بنى عامر) فقال له : «ما أضرّ هذا النهر لأهل هذا المصر» فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير .

ـ تنّدى منه دورهم .

ـ ويغرق فيه صبيانهم .

ـ ومن أجله يكثر بعوضهم[3]

إن تلوين الحديث عن الشىء الواحد فى كل من المثالين السابقين ما صدر إلاّ عن ميل ذاتى وهوى نفسى ، لا عن نظرٍ مجرد

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٠ و ٣٣٣ .

(٢) الميرة الطعام الذى يدخر .

(٣) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٢١٩ مطبعة حجازى بالقاهرة .

عن الهوى مع أن عمراً وغيلان قد صدقا فى الوصف الأول . ولم يكذبا فى الثانى ، وإنما حملهما الرضا على التنويه بالجانب المشرق أولاً . ودفعهما الغضب إلى الاعلان عن الجانب المقابل ثانياً .

إن معظم الأشياء وأحداث الحياة قلّما تخلو من تلك الجوانب المتقابلة . وبامكان كل متحدث أن يتناول الجوانب التى تلائم ما فى نفسه ، فان كان ذا بيان صدق عليه قول الشاعر ..

لقد وجدت مجال القول ذا سَعَةٍ فإن وجدت لساناً ناطقاً فقل

وإن تلك الظاهرة البيانية فى المثالين السابقين تدلُّ على أن أصحابها يتمتعون بحظّ من النظر الفاحص . وبقدرة تعبيرية جيّدة ، يستطيعون بهما أن يعرضوا ما يشاءون من صفات الأشياء والأحداث فى القالب الذى يريدون والاطار الذى يحبون ، إلا أن مباحث الدين ينبغى أن لا تكون مجالاً لتلوين على نسق ما فى المثالين السابقين . وإنما على الخطيب أن يبسط الأمور فى الاطار المقرر لها فى الدين ، لأن ما استحسنه الشرع هو حسن حقاً . ولو لم يكن حسناً فى تصوّر بعض الأذهان . وما استقبحه الشرع هو قبيح حقاً ولو استحسنه فريق من الناس .

أما المثالان السابقان فما أوردتُهما هنا الا للتنبيه على سَعة مجال البيان . وعلى أن بامكان الخطيب إذا كان بصدد الترغيب فى أمر أن يتقّصى ما يحيط به من الصفات المستحسنة . كما أن بإمكانه إذا حذّر من أمر أن يتقصى صفاته المستكرهة . على أن لا يخرج فى هذا البيان أو ذاك إلى ما يتنافى مع ما هو ثابت فى الدين .

انحدار البيان :

كثيراً ما تساهم بعض العوارض فى إنحدار البيان عن المستوى الرفيع .

ومن تلك العوارض ما هو خلْقى ، ومنها ما ينشأ عن عدم الاهتمام بقواعد فن الخطابة .

أما العوارض الْخَلِقِيَةُ فكثيرة ، من بينها الفأفأة ، والتّمتمة ، والّفلفة ، والبّحة ، واللّثغة .

فالفأفأة هى التّعثّر فى حرف الفاء أثناء الكلام . فيردّده المتكلم عند بداية النطق بالكلمة . ولو لم يكن للفاء موقع فى تلك الكلمة . وقد تقوى الفأفأة بصاحبها فيبدو لاهثاً عند النطق بأول الكلمة الواقعة فى بداية الجملة .

والتّمتمة هى التعثر فى حرف التاء ، سواء كان لهذا الحرف وجود فى الكلمة أم لم يكن .

وقد مدح أحد الشعراء خطيباً فصيحاً ، فقال :

ليس بِفأفاءٍ ولا تَمْتَامِ ولا كثير الحشــو فى الكلام

واللفلفة أو اللفَّفُ هى إدماج بعض الكلمة فيما بعدها . قال أحد الشعراء يصف متكلما :

كأن فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ من طول تحبيس وهمٍّ وأَرَقْ

والبحّة خشونة الصوت مع اختناق أو ضعف . والبّحة قد تكون خلقية . وقد تكون عارضة تزول بالمعالجة .

واللثغة هى العجز عن النطق بحرف مَا ، وإبداله بحرف آخر . وهى أنواع كثيرة . ذكر الجاحظ شيئاً منها فقال :

(ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة . وما يحضرنى منها هى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء ... فاللّثغة التى تعرض للسين ، تكون ثاء ، كقول الألثغ لأبى يَكْسُوم ، أبى يكثوم ، وكما يقولون بُثْرة ، إذا أرادوا بُسْرة ، وبأثِمْ الله ، إذا أرادوا باسم الله .

والثانية اللّثغة التى تعرض للقاف ، فان صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول قُلت له يقول طُلْتُ لَهُ ، وإذا أراد أن يقول قال لى ، قال : طال لى .

وأما اللثغة التى تقع فى اللام ، فان من أهلها من يجعل اللّام ياء ، فيقول بدل قوله أعتللت : اعتييت ، وبدل جَمَلْ جَمَىْ ، وآخرون يجعلون اللام كافا ، كالذى عرض لِعُمَرَ أخي هلال ، فانه كان إذا أراد أن يقول ما العلة فى هذا ؟ قال : مَا كْعِكَّةُ فى هذا ؟

فأما اللثغة التى تقع فى الراء ، فإن عددها يضعّف على عدد لثغة اللّام ، لأن الذى يعرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال : عمي فيجعل الراء ياء ، ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال عمغ : فيجعل الراء غيناً ، ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو ، قال : عمذ ، فيجعل الرأء ذالاً ...

واللثغة فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهنّ ، وأوضعهنّ لذى المروءة ، ثم التى على الذال ، فأما التى على الغين فهى أيسرهن .

ويقال : أن صاحبها لو جهد نفسه جهده ، وأحدّ لسانه ، وتكلّف مخرج الرّاء على حقها والافصاح بها ، لم يكن بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء

أن يقول عمر . ولعمرى . وما أشبه ذلك على الصحة قاله . ولكنه كان يستثقل التكلف . والتهيّوء لذلك فقلت له : إذا لم يكن المانع الا هذا العذر . فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم[1]

هكذا نرى الجاحظ يشير على محمد بن شبيب بمحاولة اصلاح لسانه زمناً كافياً حتى يستقيم على النطق الصحيح ، وكم من خطيب حَدّثتْنا ترجمة حياته أنه استطاع أن يتغلب على بعض العاهات اللسانية ، فأصبح من أعلام الخطباء . وأصل ذلك كله إنما هو العزم والصبر والمثابرة .

وأما ما ينشأ عن ترك الاهتمام بقواعد الخطابة ، فعيوب كثيرة تنحدر بالبيان قليلاً أو كثيراً وذلك على مقدار الاهمام لتلك القواعد ، خصوصاً ما هو مقّرر منها فى المؤهلات الصناعية ، أو فى جودة الالقاء .

ومهما تكن كفاءة الخطيب اللسانية والبيانية فان عليه أن يعمل – بلا انقطاع – على إخصاب قواه البيانية ، والنفسية والذهنية ، حتى يكون حظّه من مزايا الارتجال أعظم حظٍّ يتمتع به خطيب .

مزايا الارتجال :

للارتجال مزايا عظيمة الأهمية ، ومن أهمها :

١ – أن الخطيب المرتجل يستطيع أن يغيّر مجرى خطابه تبعاً لما عسى أن يجدّ من أحوال المستمعين . فقد يكون كلامه فى إتجاه معيّن

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ و ٥١ و ٥٢ باختصار .

فيلاحظ من المستمعين ما يدعوه إلى إتجاه آخر فيتحوّل إليه ، غير متقيد بشيء مكتوب . وقد تكون تلك الفرصة أثمن فرصة هيّأها له ذلك الموقف ، فلا يستهين باستثمارها ، لأنها قد لا تعود .

حدث أن أبا جعفر المنصور كان يخطب ، فلما واجه الناس بقوله : (اتقوا الله) قال له أحدهم (أُذَكِّرُكَ مَنْ ذَكَّرتنا به) ، فقال أبوجعفر : (سَمْعاً سَمْعاً لِمَنْ فهم عن الله وذكّر به ، وأعوذ بالله أن أُذكِّرَ به وأنساه . فتأخذنى العزة بالاثم ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين) ثم التفت إلى الرجل وقال : (وما أنت ؟ والله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال قام فلان فقال ، فعوقب فصبر . وأهْونْ بها لو كانت العقوبة ، وأنا أنذركم أيها الناس أختَها ، فَان الموعظة علينا نزلت ، وفينا نبتت)[1] ثم عاد إلى موضوع خطابه .

٢ ـ أن الارتجال كثيراً ما يسعف الخطيب بمدد من تداعى الأفكار ، فقد يكون بصدد الحديث عن أمر معيّن ، إذا هو قد انبثق فى ذهنه شيء آخر ما كان مستعداً له من قبل ، وما خطر له على بال ، فيرى أن هذه الفكرة الطارئة أرفع منزلة ، وأعظم تأثيراً مما كان هيّأه فى نفسه . فيقتنصها ويضيفها إلى ما هو بصدد الحديث عنه .

٣ ـ أن للارتجال أعظم الأثر فى تحريك انفعال الخطيب ، من أجل

(١) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ٣١١ والكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٢ .

توجّه اهتمامه إلى ما يقول ، لا إلى ما يقرأ ، ولا يخفى أن التأثير فى المستمعين يشتد بمقدار تأثر الخطيب وانفعاله .

٤ ـ أن المستمعين يعتبرون المرتجل خطيباً ، لا أنه مجرد قارىء للورق ، وهذا الاعتبار مساعد على تَقَبُّلِهم لما يُشَفِهُهُم به أكثر من تقبلهم لما يقرؤه غيره عليهم .

مزالق الارتجـــال :

ومن المرتجلين من يتضاءل اعتبارهم فى نظر المستمعين ، أو يصابون بحبسة مُربعة ، فينهار اعتبارهم تماما .

أما تضاؤل اعتبارهم فينشأ عن عدة أسباب ، منها :

١ ـ أن يتناول أحدهم موضوع الخطاب من غير إعداد كافٍ فيكثر تردده ، أو سكتاته الطويلة ، ويلوح عليه الاضطراب ، فينغّصُ مُستمعيه ، ويتمنَّون أن يُنْهى كلامه .

٢ ـ أن يتواصل بيانه بلا توقف ، ولكنه يعرض الموضوع فى صورة أفكار غير واضحة ، أو مبعثرة ، تلك من هنا ، وهذه من هناك .

٣ ـ أن يعرض هيكل الموضوع أفكار مرتبة ، ولكنها مفكّكة ، وتفصل بينها ثغرات يملؤها باللغو وفضول الكلام ، فيكون كمن قيل فيه :

(ويرتجل الكلام وليس فيه سوى الهذيان من حشو الخطيب)

٤ ـ أن يعهد من نفسه أنه مصاب بالذهول وشرود الذهن أو النسيان ، ومع ذلك يُقْدِم على الارتجال .

وأما إصابة المرتجلين بالحبسة وبحجب المعانى عنهم فان أكثر ما يكون ذلك عند مهابتهم الشديدة للموقف . وأنبهارهم من نظر الناس إليهم ، وأنه لموقف رهيب .

قيل لعبد الملك بن مروان : عجَّل عليك المشيب يا أمير المؤمنين ، فقال : (كيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ؟)

ومرة قال : (شيبنى صعود المنابر والخوف من اللحن)

وصعد روح بن حاتم المنبر . فلما رآهم قد رفعوا رؤوسهم إليه ، ووجّهوا نحوه أبصارهم . وتهيأت له أسماعهم حَصِر[1] فقال : (نكّسوا رؤوسكم ، وغُضُّوا أبصاركم ، فان المنبر مركب صعب ، وإذا يسَّر الله فتح قفلٍ تيسّر)

وكان عبد ربه اليشكرى عاملاً على المدائن ، فصعد المنبر فَحَمِدَ الله وأُرْتِج عليه[2] فسكت . ثم قال معتذراً : (والله إنى لأكون فى بيتى ، فتجىء على لسانى ألف كلمة . فاذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدرى . ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة . فصرت وما فى الأيام يوم أبغض إلىّ من يوم الجمعة وما ذلك الا لخطبتكم هذه)

وخطب عبدالله بن عامر بالبصرة فى يوم أضحى فارتج عليه[1] فمكث ساكتاً ثم قال : (والله لا أجمع عليكم عيا[2] ولؤماً ، من

---

(١) حَصِرَ : عَيِيَ بالنُّطق .
(٢) ارتج على الخطيب : استغلق عليه الكلام .
(١) ارتج على الخطيب : استغلق عليه الكلام .
(٢) العى : العجز عن الكلام .

أخذ شاة من السوق فهى له ، وثمنها عليّ[٣])

هل نيأس إذا من القدرة على الارتجال ؟

إن كل ما تقدم لا يحملنا على اليأس من القدرة على الارتجال . بل لا يحمل ذوى الهمم المتوثبة الا على الثقة بالقدرة عليه ، وذلك عندما نتلمس مواطن الضعف ، ونعالجها بما تقدم توضيحه فى كل من القوى الثلاث ، فاذا صحب ذلك ارادة صادقة وتمرّن متواصل ، فان الخطيب يتمكن بمشيئة الله من ناصية الارتجال .

ومن خير ما يساعده عند التمرن :

١ ـ أن يتدرب على الارتجال باستمرار فى وقت ثابت ، ويحسن ـ عند الامكان ـ أن يكون أكثر من مرة فى الأسبوع .

٢ ـ أن يفكر فى المواضيع التى سيتدرّب عليها ، ويعدّها اعدادا تاماً كأنه سيلقيها على مَلأ من الناس ، وبعد إعداد الموضوع يرتجل القول فيه .

٣ ـ أن تكون مواضيع التدرب واضحة عنده . غير متشعبة المسالك ، ولا مترامية الأبعاد .

٤ ـ أن يكون إلقاؤه فى أناةٍ وعلى مهل ، وأن يعلم أن ما يطرأ عليه من انقطاع تسلسل كلامه ، ما هو إلاّ ظاهرة عابرة ، ستنتهى بمرور بعض الوقت .

٥ ـ أن يقوم بالارتجال فى بعض المناسبات بين أصدقائه ، ويستشير من يثق برأيه واخلاصه ، ثم يلتزم باصلاح مالا يستحسن منه .

---

(٣) أخبار من أرتج عليهم وردت فى خاتمة الجزء الثالث من جمهرة خطب العرب لأحمد زكى صفوت .

٦ ـ أن يحرص على أنّ لا يخطب من الورق بعد انقضاء وقت كاف من التدرب .

٧ ـ أن يهتم ـ عند الامكان ـ بملاحظة الخطباء المرتجلين ، وبكيفية تصرفهم ، ومدى تأثر المنصتين إليهم .

فإذا عمل بهذه الملاحظات قضى على اليأس من القدرة على الارتجال .

أما مزالق الارتجال فليعمل على تفاديها بتجنّب أسبابها المتقدمة .

وأما الحصر والإرْتَاج فلا يهولُه منهما ما قد يحدث له عند مواجهة الجماعات أو الجمهور . وينبغي أن لا يحمله ذلك على اليأس ، وليهوّن الأمر على نفسه إذا شق عليه ، كما هوّن زياد بن أبي سفيان على عبدالله بن عامر .

قال الجاحظ : (لما حصر عبدالله بن عامر على منبر البصرة شقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : أيها الأمير إن أقمت عامَّة من ترى ، أصابه أكثرُ مما أصابك)[٤]

وليعلم الخطيب الناشىء أنه لا يحمد الخطيب مع كل ما تقدم إلاّ إذا كان جيِّد الإلقاء .

---

(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٥٥ .

جـودة الإلقـاء

في النظام الزيتوني [1] كان للامتحان منهج خاص ، ومن مميزاته أن التحرير الخاصّ بالمواد الكتابية تتولى فحصه لجنة رباعية لتمنحه الدرجات المناسبة ، وكنت عند مشاركتي في تلك اللجان أشعر بأمر غريب . وهو أن بعض التحارير يكون في مستوى متوسط ، ولكن من يقوم بقراءته من أعضاء اللجنة قد يكون جيّد الالقاء ، فيكسوه من حسن القائه ما يجعله في تقدير كافة الأعضاء أعلى من مستواه الحقيقي .

ويحدث العكس عندما يقرأ أحد التحارير الجيدة عضو لا يكون حسن الالقاء ، فان مستوى ذلك التحرير الجيد ينحطّ ـ في تقدير بقية الأعضاء ـ عن حقيقة مستواه .

وفي بعض الأحيان يختلف الأعضاء اختلافاً بعيداً في تقدير أحد التحارير ، فيضطرون إلى إعادة قراءته ، وعندئذ إما أن تنزل قيمته نزولاً يُجمع على اعتباره كافة الأعضاء ، واما أن ترتفع قيمته لديهم جميعاً ، وفي كثير من الأحوال لا يكون ذلك التأرجُحُ في التقدير الا أثراً من آثار الالقاء . وما صحبه من نغم مناسب .

---

(١) يقصد جامعة الزيتون بتونس .

نَغَمُ الإلقاء :

إن الأشياء البسيطة كثيراً ما تُعرض فى أغلفة أو ظروف تم اختيارها من مادة جيّدة . ووقع إدراج تلك الأشياء فيها بعناية وذوق ، فكان لتلك الأغلفة والظروف من الجاذبية ما يجعل قيمة الشىء المعروض فيها أرفع مما لو لم يعرض فيها ، أو لم يكن وضعه فيها بتلك العناية . وبذلك الذوق .

وتنطبق هذه الحقيقة على الكلام نفسه . فكم من الكلام ماكان ذا معنى مألوف أو حكم معروف . ولكن المتكلّم به يكسوه من صفاء صوته . ورونق نبراته ما يأخذ المستمع بنشوة إلى المستطرف لشىء لم يكن يعرفه من قبل .

ومن هذه الحقيقة ندرك الفرق بين خطيبين : خطيب يسرد الخطبة بنغم لا يتبدل من بدايتها إلى نهايتها ، أو يكاد لا يتبدل كذلك . وخطيب تتنوع تموجات صوته تبعاً لما يحمله التعبير من مختلف المعانى ، فالأول شبيه كل الشبه بتلميذ يقرأ درساً من كتاب مدرسى ، أما الثانى فهو متمتّع بحظ وافر من جودة الالقاء المطلوبة فى كل خطيب .

وكم من خطبة ألقاها خطيب مُلمّ بفن الالقاء ، فكان لها فى نفوس السامعين أبلغ الأثر . فإذا نشرتها إحدى المجلات ظهرت قيمتُها وهى مقروءة أدنى كثيراً من قيمتها التى كانت لها وهى مسموعة . وليس ذلك الا لما كساها الخطيب من جمال نبراته المتمثلة فى حسن القائه .

إن الخطبة ما هى إلاّ وسيلة لابلاغ ما فكّر فيه الخطيب إلى

عقول السامعين وقلوبهم ، وما سميت الخطبة الا لتسمع ، وبأدنى انتباه إلى اسمها ، ندرك أنها نوع من الخطاب ، والخطاب لا بدّ أن يتناول مختلف المعانى ، فكان من الواجب أن تتنوع نغمات الخطاب تبعاً لتنوع المعانى .

صفات الإلقاء الجيد :

ينبغى للخطيب أن يراعى فى القائه مجموعة من الأوصاف ، ومن أهمها :

١ ـ أن يكون ـ فى معظم الخطبة ـ متوسط السرعة ، الا بطيئاً ، ولا عجولاً .

ويمكن ـ فى أثناء الخطبة ـ أن يلقى نصاً ، أو حكمة ، أو فقرة من الفقرات إلقاء بطيئاً ، وبنغم مناسب للمعنى ، ومغاير لما سواه من النغم .

٢ ـ أن تختلف تموجات صوته ، فلا يكون بنغم رتيب لا يتبدل ، أو يكاد لا يتبدّل .

إن النغم الرتيب فى الالقاء شبيه بصوت الماء النازل من حنفية على مستوى واحد من النغم الثابت ، وإن مثل هذا الالقاء قلّما يشدّ انتباه السامعين إليه ، بل انه مجلبة للتثاؤب والنوم ، أو الضجر والسآمة ، سواء أكان النغم لطيفاً أم عنيفاً .

٣ ـ أن يلائم بين المعانى ونغمات صوته ، بحيث تختلف فيه نغمة الترغيب عن نغمة الترهيب ، ونغمة الرجاء عن نغمة الخوف ، وهكذا يختلف النغم بين الابتهاج والاكتئاب ، وبين الغضب والاشفاق ، وبين التعجب والتحسّر ، وبين الاخبار

والتساؤل ... الخ

٤ ـ أن يضغط على الكلمات التى يحتاج الموقف إلى إبرازها حتى تستأثر بوقع خاص فى أسماع المنصتين . وفى عقولهم أو قلوبهم .

فلو نطق الخطيب بمثل هذه الجملة : (الولد الصالح نعمة من الله يجب الشكر عليها مدى الحياة) لكان من الواضح أنه يقصد كل عبارة بذاتها من تلك الجملة ، ولكن اهتمامه ـ فى الجوّ الخاصّ بتلك الخطبة ـ قد يكون منصبّاً أكثر على صلاح الذرية . وفى هذه الحال يكون من المناسب أن يبرز كلمة (الصالح) بالضغط عيها . حتى يميزها النغم العالى عن بقية ألفاظ الجملة ، ليلفت اهتمام السامعين إلى منزلة هذا الصنف من الذرية ، وقد يكون اهتمامه فى تلك الخطبة متوجهاً إلى تعداد ما تفضل الله به على بنى آدم . على حدّ قوله تعالى : ﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾[1] فيحسن إبراز (نعمة) ، وقد يريد لفت الانتباه إلى أن هذا الفضل فضل عظيم ، لأنه من عند الله ، والفضل إذا كان من الله كان فضلاً عظيماً ، وهنا يضغط على عبارة (من الله) وإذا كان بصدد الحث على الشكر أبرز كلمات (يجب الشكر عليها) وإذا أراد الحث على مواصلة الشكر ضغط على قوله (مدى الحياة) ليشعر السامعين أن هذه النعمة ينبغى أن يتواصل الشكر عليها بتواصل بقائها .

ولكى ندرك الأثر الطيّب لمثل هذا التصرف الجيد ، يمكننا أن نلتفت إلى ما يجرى فى الكلام العادى إذا صدر عن متكلم لما يحدثه النغم من أثر فى نصاعة البيان . مثال ذلك إذا قال

---

(١) سورة النحل آية ٧٢ .

هذا المتكلم : (إن العربة تنتظر بالباب منذ نصف ساعة) فهو قد يبرز كلمة (العربة) عن أخواتها بنغم ضاغط ليدفع بذلك توهم السامع أنه سيذهب مشياً على قدميه . وقد يبرز عبارة (تنتظر) ليشعره بأن الاهتمام بشأنه ترتب عليه أن تنتظر العربة . وقد يبرز عبارة (بالباب) لافهامه أن العربة قريبة منه كلّ القرب . وقد يبرز كلمات (منذ نصف ساعة) لاعلامه بأن الانتظار قد طال إلى هذا الحد .

وهكذا تختلف أحوال المخاطبين بالكلام الواحد . ويكون النغم خير معبّر عن المقاصد الخاصة لكل متكلم ، ولكن الخطيب أولى الناس بمراعاة نغم الخطاب .

ومن هنا يتبين الفرق الشاسع بين الكلام الذى يكتب ، والكلام الذى يسمع ، وتظهر الحاجة إلى اهتمام المتكلمين بتنويع نغمات الخطاب ، إذ لا يخفى أن هناك فرقاً بين الكاتب والخطيب ، فالكاتب يعتمد أكثر ما يعتمد على ما يكتب من كلمات . وعلى قدرته فى التأليف بينها ، حتى يرسم بائتلافها صوراً معبّرة للقارىء فى غياب الكاتب ، ثم أن للقارىء من الفرص ما يجعله يتأنى فى قراءة ما كتب الكاتب ، أو يعيده مرة أو أكثر متى شاء ذلك .

أما الخطيب فهو يعتمد ـ إلى حدّ بعيد ـ على تموّجات صوته . وعلى حسن تصرفه فى تلوين نغماته ليبرز كل معنى فى ثوب يتلاءم معه تمام التلاؤم . بينما يفقد المستمع أيّة فرصة للعودة إلى ما استمع إليه ، الا اذا عنّى نفسه ، وقام بتسجيل

ما يلقيه الخطيب .

٥ ـ أن يتزل بصوته عن مستواه قليلاً ، كلما أشرفت فقرة من فقرات الخطاب على الانتهاء . فلا ينهيها بنغمة صاعدة ، إلاّ إذا بقى لها ارتباط بما بعدها . وأن يتزل بصوته كذلك عندما يتحدث فى الأثناء عن شنيعة من الشنائع ، أو مأساة من المآسى ، حتى كأنه يهمس بها فى آذان السامعين هَمْساً ، وكأنه يخجل أو يعجز من أن يرفع بذلك صوتاً ، فان عقّب عليها بما يكشف عن غضب الله احتدّ لذلك ، وانزعج ، ورفع صوته .

وان من نعم الله على خطباء هذا العصر أنهم أصبحوا يتمتعون بما توفر لديهم من أجهزة توصل مختلف نغماتهم إلى جميع المستمعين حتى ما يكون منها فى خفاء الهمسات .

إن تنوّع مراتب الصوت أمر وهبه الله للإنسان ، ولم تكن هذه الموهبة الا لحكمة بالغة . ولا يخفى أن المعانى المختلفة يتطلب كل منها نغماً ملائماً له . لأن فى ذلك التلاؤم دعما قوياً لعناصر التأثير .

عناصـــر التأثير

ليست مهمة الخطيب منحصرة فى توضيح الأحكام الشرعية . ولا فى التعريف بموقف الاسلام من بعض القضايا . ولا فى الموعظة والتذكير ، ولا فى الارشاد والتوجيه ولا فى الترغيب والترهيب ، ولكن مهمته تحيط بجميع تلك المواضيع . وبما إليها . وتستلزم حتماً ــ إلى جانب ذلك ــ أن يهتم أعظم الاهتمام بكل ما من شأنه أن يوقظ العقول من استغراقها فى متاهات االغفلات ، وأن يهزّ القلوب المتوقفة عن الاحساس بما خلقت لأجله ، وعن تصورها للمنهج الذى أقامه الله لاستخلاف الانسان فى الأرض.

والناس ليسوا سواء فى قبولهم الحق ، ورغبتهم فى الاهتداء ، وذلك لعدة أسباب ، منها اختلاف أمزجتهم ، وتفاوتهم فى الذكاء ، وفى مراتب المعرفة وفى حظوظهم من التربية ، وفى مدى صلاح البيئات التى يحيون فيها . وفى تقديرهم لقيمة من ينصتون إليه ... الخ

والقرآن العظيم نبّه على هذه الحقيقة . فذكر أن طائفة خاصة من الناس تفيض أعينهم من الدمع عند سماعهم الحق :

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تَفِيضُ من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.وما لنا لا

نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾[1]

ولما كانت غاية الخطيب أن يؤثر فى من يستمعون إليه بأكبر قدر تبلغه الطاقة البشرية ، كان عليه أن يتزود بأكبر قدر من عناصر التأثير ، ليستعين بذلك على استيعاب أكبر قدر من أصناف المستمعين على اختلاف أحوالهم .

إن عناصر التأثير كثيرة ، ومتنوعة ، وأهمها :

١ ـ تعليل أحكام القضايا .

٢ ـ تحريك مشاعر المستمعين .

٣ ـ إثارة حميّتهم .

٤ ـ مكانة شخصية الخطيب .

٥ ـ تجنب التعالى على المستمعين .

٦ ـ الاشفاق عليهم .

٧ ـ الحرص على جودة الالقاء .

وإليك بيانها مفصّلة :

١ ـ تعليل أحكام القضايا :

كان كثير من الخطباء فى القرون الأولى إذا أراد أحدهم مخاطبة الناس فى أىّ أمر اكتفى بعرض بعض النصوص المتعلقة به من الكتاب والسنة ، وربما أضاف إليها ما شاء من الأحداث والمواقف

---

(١) سورة المائدة آيتا ٨٣ ، ٨٤ .

الكريمة لسلفنا الصالح . أو لمن تقدمهم من أمم الرسل السابقين ، فما هو الا أن تبلغ كلمة الخطيب من السامعين مبلغاً عظيماً ، وتؤثر فيهم تأثيراً عجيباً ، وقد لا يهتدى مستمع إلى سرّ التشريع الاسلامى فى بعض القضايا فيتساءل فى نفسه عن الحكمة من ذلك ، وما يتحرك خاطره بهذا الاستفسار حتى يجيبه هاتف الايمان الحق من أعماق نفسه :

إن الله حكيم ، خبير ،

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾(١)

أما فى العصور الأخيرة فقد أصبح الحال مختلفاً عن الحال ، فقد كادت مخالفة بعض الناس لما يسمعون من كلام الله وحديث رسوله تكون أمراً مألوفاً ، وصار أمثال هؤلاء بحاجة إلى أن يتعامل الخطيب معهم على ما عليه مبلغ إيمانهم . ومستوى مداركهم ، ليتيسر إنقيادهم إلى ما يدعوهم إليه . لذلك أصبح من الواجب أن يتوسع الخطيب فى بيان أسرار التشريع . ويسهل عليه ذلك إذا قام بتوضيح الأخطار الناتجة عن كل ما نهى الله عنه ، وكشف عن المحاسن والمحامد لكل ما رغّب الله فيه . وبهذا التصرف يستجيب إلى حاجة كثير من المستمعين إليه فى هذا العصر .

وكمقارنة نجريها بين خطيبين يتناول كل منهما موضوع الخمر مثلاً ويكون أحدهما من خطباء السلف . والآخر هذه الأيام فاننا إذا قارنّا بينهما نجد الأول يعرض ما يتيسر له من النصوص الواردة فى تحريم الخمر ، وإذا أضاف إليها شيئاً فقلّما يخرج عن تفسير ما فيها من

---

(١) سورة الملك آية ١٤ .

مفردات أو سبب نزول . وقد يضيف إلى ذلك أن يوصى بتقوى الله . وبخشيته والتحذير من عقابه ، فيكون لهذا القدر أعظم الوقع فى نفوس السامعين لأن النفوس الطيبة تتحرّج من الاثم ، ولأن الايمان الحق يحمل صاحبه على الانتفاع بالذكرى ، ألم يقل الله :

﴿وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2] .

ولا شك فى أن ما يشبه تصرفات الخطباء القدامى ، مايزال له تأثير على بعض النفوس حتى اليوم . ولكن كثيرا من الناس لا يستجيبون إلى نداء من يدعوهم إلى الله بعض الاستجابة الا إذا كان نداؤه يستجيب إلى ما فرضته ظروف هذا العصر ، لذلك نجد الخطيب المسموع الكلمة فى هذه الأيام . هو الذى يضمّن دعوته توضيحاً يتلاءم مع التصورات الذهنية عند هؤلاء الناس .

فى موضوع الخمر ينبغى أن يكشف عما فيه من مضار تتلف أخلاق الناس ، وعقولهم ، وأبدانهم ، وأموالهم ، وتنشر الجريمة ، وتفسد العائلة وتدمر روابط الأسر ، وتفكك تماسك المجتمع ، وتجعل السكّير فاقداً للشعور بالمسؤولية . فيفعل ما لا يفعله أى عاقل .

وكل بلية من تلك البلايا ذات أبعاد خبيثة . وتفصيلها يحتاج إلى بيان عريض ، ولو اقتصرنا على أثر الخمر فى صحة السكير فقط لهالنا حجم الكارثة التى أثبت الطب أنها تحيق به على مراحل . وأن المرحلة الأولى قلّما لا يكون لها ما بعدها .

لقد أثبت الطب أن السكّير إذا كانت نسبة الكحول فى دمه

(٢) سورة الذّاريات آية ٥٥ .

ملّيقرام فى كل سانتليتر . فانه يصاب بضعف الملاحظة والتفكير ، فاذا وصلت ملّيقرامين . أصيب بالمرح الصاخب أو الهدوء الحزين ، فاذا بلغت ثلاثة ملّيقرام ، دخل فى طور الوقاحة والسباب والخصام ، فاذا بلغت أربعة مليقرام . صار غير قادر لا على المشى ولا على التفكير ، وثقل لسانه عن الكلام . وفى الخمس مليقرام يأتى دور النبض الضعيف . والتنفس البطىء ، ثم الاغماء التام .

أما أن وصلت نسبة الكحول فى دم السكير ستة ملّيقرامات فالوفاة التامة .

والخمر يتسبب من جهة أخرى فى الأمراض العقلية ، وفى الشلل الاهتزازى ، وفى أمراض الكلى ، والكبد . وتصلب الشرايين ، وارتفاع ضغط الدم .. الخ .

وليس التعليل ، وتوضيح حكمة التشريع بأمر مبتدع فى الدين بل هو معتبر فيه ، وملاحظ فيما ورد عن الله ورسوله ، ولكن ذلك وارداً بايجاز . وفى وروده إشارة إلى المنهج المثمر فى مجال التوجيه ، فلقد قال سبحانه :

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ..﴾[1]

فأنت ترى أن الآية تضمنت توضيحاً لطائفة من البلايا المنجرّة من تناول الخمر .

وفى القرآن والسنة كثيراً ما نجد التعليل مقترناً بالحكم الشرعى ، أما أن نجده وارداً بعده . كما فى قضية الخمر . وأما أن نجده متقدّماً

---

(١) سورة المائدة آية ٩١ .

عليه ، كما فى قوله تعالى :

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ...﴾[٢]

وقد يكون التعليل مطوّياً فى الكلام بطريق الاشارة ، كقوله تعالى :

﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين﴾

فان من موجبات حمد الله أنه سبحانه هو القائم بتربية العالمين إيجاداً ، وحفظاً ، ورحمة ، وأنه القادر على بعثهم ليكافئهم على كل ما يعملون ، فكانت تلك الصفات الكريمة فى الآيات مذكرة للحامد بما هو واجب عليه ، وموضحة لجملة من الأسباب التى قام عليها واجب الحمد .

ومن هنا كان على الخطيب أن يتأسى بخطاب الله لعباده . فلا يعرض أمراً إلاّ وهو واضح الأسباب بيّن النتائج ، وفى تقّص لا يدعو إلى السأم ولا ينحدر إلى الاسفاف .

وقضية التعليل إذا نظرنا إليها ـ بصفة أشمل وأوسع ـ نعلم مع الأسف أن من اقتنع بشىء من أجل دليل أو عدة أدلة هو إنسان لا يوثق باقناعه ، لأنه عرضه لأية شبهة تقدح فى ذلك الدليل ، أو الأدلة . وهذا من الفوارق التى أصبح بها خلف الأمة مغايراً لسلفها ، إذ أن سلف الأمة لما آمنوا بالله ورسوله التزموا بقبول كل ما بلغهم من طريق صحيح عن الله ورسوله ، وصاغوا حياتهم على ذلك جملة وتفصيلا .

---

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

والغريب فى ناس هذا العصر أن طائفة منهم أصبحوا مفتونين بما سمّوه تحكيم العقل ، فلا يكادون يستجيبون الا إلى ما يوافق عقولهم هم ، وأكثر من هذا أن منهم من يتجرّأ فيحاول أن يناقش ما ثبت بنص قطعى عن الله ورسوله ، وقد يحتال فيرفض بعض الأحاديث مدّعياً أنه يتشكك فى صحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ ، كل ذلك ارضاء لنفسه ، واستجابة لهواه ، فهو لا يرضى أن يوصف بأنه مخالف لتعاليم الاسلام ، ولذلك يبرّر مخالفاته بشتى التعاليل التى يتوهم أنها كفيلة بأن يعتبره الناس ملتزماً بالاسلام ، ولكن فى حدود ما يقرره عقله المستنير كما يدعى ...

وكثير من هؤلاء من يضعون النصوص فى غير موضعها ، فاذا أراد أحدهم تبرير بعض المخالفات استشهد بقوله ﷺ : (**إن الدين يسر**) مع أن هذا الحديث ما ذكره ﷺ الا للمستغرقين فى نوافل الخير ليردّهم إلى التخفيف مما يزيد على الواجبات ، لا أنه ذكره لتبرير التفريط فى الواجبات .

وأصل هذا الحديث كما فى البخارى : (**إن الدين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد الا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**)

هذا هو الحديث بتمامه ، ومنه يتبين أنه ﷺ لم يقل إنَّ الدين يسر فقط وسكت ، وإنما قال : إن الدّين يسر ولن يشادّ الدين أحد الا غلبه ... الخ ومنه يتبين أن تنبيهه ، على التيسير موجّه للذين كانوا يحمّلون أنفسهم فى نوافل العبادة أكثر مما تطيق الاستمرار عليه .

ولا شك مع هذا فى أن المشاعر الدينية هى التى ماتزال تسوق المصلين إلى الجوامع . ولكن التصوّر الدينى فى هذا العصر قد تكدر عند بعض المسلمين بألوان من التلوّث . وقد اختلفت مصادر تلك الألوان ، وتنوّع تأثيرها على النفوس . فكان من ذلك أن طائفة من المصلين إذا سمعوا بعض الأحكام الشرعية التى يعلن عنها الخطيب يتصوّرون أن ما استمعوا إليه لا يعدو أن يكون احدى نظريات الخطيب نفسه . ومن هذا تكون لدى هؤلاء قابلة للرّفض والقبول ، بل إنَّ بعضهم يتجاوز هذا الحد ، فيعلن فى المجالس عن لومه للخطيب فيما تضمنته إحدى خطبه ، أو عدّة خطب من خطبه ، خصوصاً إذا كان الحكم يتناول قضيّة منتشرة بين الناس وهم فيها مخالفون لحكم الله ، فتستغرب هذه الطائفة أن ينهى الخطيب عما هو شائع فى بعض الأوساط المنتسبة إلى الاسلام . أو يزعزع ما استقر فيهم من انحراف ، لطول زمان الغفلة والاهمال .

فيا لله للخطباء فى مثل هذه البيئات ، وأين حال هؤلاء من حال السلف الذين كان العالم منهم بكل ما أتى عليه الخطيب إذا خرج من الجامع يقول مغتبطاً : (جزى الله فلاناً عنى خيراً لقد ذكرنى كذا وكذا ، وزادنى فيها لكذا وكذا ، ورغبنى فى كذا وكذا) فأين الناس من الناس ... ؟

٢ ـ تحريك مشاعر المستمعين :

إن عواطف المستمعين ومشاعرهم بحاجة إلى الاثارة ، بمقدار حاجة عقولهم إلى الاقناع أو أشد . ومن هنا كان على الخطيب أن

يخصص جانباً من اهتمامه لاثارة عواطفهم . ولإلْهَابِهَا أحياناً ، ولا تكون الاثارة ممكنة الا بأمرين :

(أ) أن يكون الخطيب نفسه متحمساً للموضوع . ولا أعنى بالتحمس أن يملأ الجوّ صراخاً . لأن بعض الصراخ قد يكون مجلبة لتكدير المستمعين ، خصوصاً إذا كانت العبارات لا تتلاءم مع الصراخ المثير للازعاج . ولا شك أن هذا التصرف إذا اعتاده من يألفون سماعه فانه يفقد التأثير فيهم عندما يكون الموقف يدعو حقيقة إلى الانفعال الداعى إلى الضغط على بعض الكلمات أو الجمل لتبرز برنين خاصّ ، ينبه السامعين إليها ، ويقذف بها إلى أعماق مشاعرهم .

وليحذر الخطيب الجهير الصوت من رفع صوته فوق الحاجة خصوصاً إذا كان يستعمل الجهاز الناقل للصوت فان ذلك يفلق أدمغة المستمعين ، ويدفعهم إلى التمثل بقول القائل :

(إن صاح فينا حسبت الصخــر منحدرا
والريح عاصــــفة والمــوج يلتطم)

(ب) أن يكون الخطيب مقتدراً على نقل مشاعره وأحاسيسه إلى السامعين ، ولا بدّ من أن يراعى فى هذا الأمر عدّة اعتبارات ، من بينها :

□ أن يتحاشى الاغراق فى الخيال والمبالغات .

□ وأن يطعّم المعانى بصورة ماديّة . لتقريبها من مشاعر

السامعين .

○ وأن يقوم بمقارنات بين عناصر الموضوع أو بعض جزئيات العناصر ، وبين ما يماثلها مما هو واقع فى نفوس السامعين موقع القبول والتسليم ، سواء فى ذلك ما كان حبيباً لهم أو كريهاً عندهم ، ليستعين بكل هذا على ابلاغ السامعين أقصى ما يستطيع من مشاعره ، وليشخّص المعانى فى أجلى صورة تأنس العقول بتسليمها ، وتأخذ طريقها إلى الاستقرار فى النفوس .

٣ ـ إثارة الحميّة فى نفوس المستمعين :

على الخطيب أن يثير حمية المستمعين ، ويهزّ مشاعرهم هزّاً ، وذلك عند حديثه على النقائص الشائعة فى أوساطهم ، كأن ينبّههم إلى أنّ كل نقيصة ما هى إلا كسب عظيم لأعداء الاسلام ، لأن ذلك مندرج تحت قوله تعالى : ﴿**إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها**﴾[١] وأى سيئة أعظم من تخلخل ارتباط المسلمين بدينهم .. إنها ـ ولا شك ـ من أعظم المصائب التى يفرح بها أعداؤهم ، وما رأيكم الآن فى أناس يعملون أعمالاً تدخل السرور على أعدائهم ؟ إنهم أناس ينهزمون دون قتال ، وأىّ قيمة لأناس ينسلخون من مقوّماتهم شيئاً فشيئا ؟ لا شك أنّهم يتحسّون سمّاً يميت منهم مقوّمات الحياة الحقيقية ، ولا شك أن أمـــثـــال هؤلاء

(١) سورة آل عمران آية ١٢٠ .

الحياة الحقيقية ، ولا شك أن أمثال هؤلاء إذا طال بهم النوم استغرقوا فى سبات الغفلة . فباتوا لا يُصغون إلى نداء من يسعى إلى إيقاظهم **﴿ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون﴾**[1]

٤ ـ مكانة شخصية الخطيب :

إن لشخصية الخطيب وسمعته أثراً لا ينكر فى تأثر السامعين بكلامه ، وذلك راجع إلى جهده المتواصل ، وإلى حرصه الدائم على تحسين مستواه بلا انقطاع .

فإذا استقرّ فى نفوس الناس انه كُفْءٌ لهذه المهمة ، وظلوا يستفيدون منه استفادات لا تنكر ، فانه قد يخطب فيهم خطبة متوسطة المستوى ، فيكون لها وقع فى نفوسهم أكثر مما يكون لنفس الموضوع إذا سمعوه من خطيب آخر . ولو كانت خطبة غيره على مستوى أعلى من خطبته . طالما كان الخطيب الآخر لا يتمتع لديهم بالتقدير الكافى لشخصيته .

ومما قد يندرج فى هذا الجانب أن لبسة الخطيب لها أثر فى إبراز شخصيته ، وتهيئة جوّ مناسب لتمتعه بأكبر قسط من التأثير .

إن الاهتمام بمظهر الخطيب والداعى إلى الله هو أمر معروف منذ القديم ، فقد قال الجاحظ : (ان اياس بن معاوية المزنى ، أتى حلقة لقريش فى مسجد دمشق . فاستولى على المجلس ، ورأوه أحمر

---

(٢) سورة السجدة آية ٢٢ .

دميماً . رثّ الهيئة قشيفاً . فاستَهَا نُوابه ، فلما عرفوه اعتذروا إليه . وقالوا : الذنب مقسوم بيننا وبينك ، أتيتنا فى زىّ مسكين تكلّمنا بكلام الملوك)[٣]

٥ ـ تجنب التعالى على المستمعين :

من أعظم عيوب الخطيب أن يتعالى على المستمعين إليه ، سواء أكان ذلك تباهياً بعلمه . أن بتقواه . أم بكفاءته الخطابية . أم بأىّ شىء آخر . وسواء أكان تعاليه بطريق التصريح أم التلميح . ولقد قال أحدهم :

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن من السكوت إبانة ومن التكلم ما يكون خبالا

وليبحث فى أفعاله وأقواله حتى تكون كلها بعيدة عما يشتمّ منه أيّة رائحة التعالى ، فان ذلك مما ينفر السامعين منه . وبذلك يكون الخطيب مساهماً فى الإعراض عن دعوة الحق . وليعتقد مع كل ما يتخذ من تنقية سلوكه ، أنه متهم بالتعالى من بعض الناس ، وربما آذوه . بغرائب التّرهات . وهذا الصنف م- الناس لا يكاد يخلو منهم مجتمع ، وفى مثلهم يقول الشاعر الحكيم :

(إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدّق ما يعتـــاده من توهّم)

وليعلم أن من الناس من لا ينظر إليه إلا من خلال أن الخطيب

---

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٥ .

يعتقد أن له فضلاً عليهم . وهى ـ فى الغالب ـ نظرة أقرانه إليه ، وهؤلاء يصدق عليهم قول القائل :

«من رأى الناسُ له فضلاً عليهم حسدوه»

فعلى الخطيب أن يتواضع لسامعيه . وأن يكون قدوة لهم فى الاهتداء بما يدعو إليه من هدى الله ورسوله . متمثلاً بقول أحد الخطباء الصالحين :

(وقفت لتذكير ولو كنت منصفا   لذكّرت نفسى فهى أحوج للذكرى)

(إذا لم يكن منى لنفسى واعظ   فيا ليت شعرى كيف أفعل فى الأخرى)

٦ ـ الاشفاق على المستمعين :

على الخطيب أن يكون شفوقاً على المستمعين ، وأن يعرب لهم أحيانا عما يجد من اشفاق عليهم .

إن هذه المصارحة من أعظم المؤثرات فى النفوس ، ولقد أدرك الرّسل عليهم الصلاة والسلام مقدار ما لهذه الوسيلة من أثر فى من يدعونهم إلى الله ، فكان نوح عليه السلام يقول لقومه : **﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾**[1] وهود عليه السلام قال نفس القول لقومه : **﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾**[2] وشعيب عيه السلام قال : **﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾**[3]

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٩ .
(٢) سورة الشعراء آية ١٣٥ .
(٣) سورة هود آية ٨٤ .

وللخطيب أن يقول مثلاً : والله لأن تكونوا مثالاً للمسلمين البررة ، أحبّ إلى من أن تكونوا مثالا لمن يتخلون عن البرّ وهم يعلمون . ولأن تكونوا أتقى لله وأحظى عنده ، أحبّ إلىّ من أن تكونوا غير حريصين على السعى إلى رضاه ، إلى آخر ما يشبه هذا الكلام . خصوصاً إذا ربطه ببعض الأحداث التى ظهرت فى بيئة المستمعين إليه .

٧ ـ الحرص على جودة الالقاء :

لا شك أن محاسن الخطابة كثيرة ، ومن أهمها جودة الالقاء . ولا يبعد عن الصواب من يقول : (إن الالقاء الجيّد فى الخطابة يستأثر بما يعادل النصف من جميع محاسنها) فان هذا القول صحيح إلى حدّ بعيد ، فكم من تعبير عذب أنيق ذهب سوء الالقاء بأناقته وعذوبته ، وكم من معان رفيعة شريفة أنزلها الالقاء السّيء عن مستواها الرفيع ، وكم من أدلّة ناصعة مفحمة ، أتى الالقاء المتهافت على أثرها فى النفوس .

فينبغى من أجل كلّ ما تقدم أن يحرص الخطيب على أن لا يضعف تأثر السامعين بكلامه .

ضعف تأثر السامعين

إن ضعف تأثير الخطيب فى السامعين قد يكون لأسباب خارجة عن الخطبة والخطيب ، وقد يكون ناتجاً عن الخطبة ذاتها ، وقد ينتج عما يعرف الناس أحيانا من سلوك الخطيب فى حياته .

فمن الأسباب الخارجة عن الخطبة والخطيب :

١ ـ أن توجد ـ بصفة دائمة ـ ضوضاء فى الشوارع المحيطة بالجامع ، وتتسرّب إلى داخله ، فتشوّش على المستمعين هدؤهم واقبالهم على متابعة الخطيب .

وفى هذه الحال يجب السعى لإزالة كل ما يحول دون استفادة المستمعين ، وذلك بتعاون أهل الصلاح ، وتدخّلهم المتواصل ، حتى يتوفر الجوّ المناسب للاستفادة الكاملة من خطبة الجمعة .

إن من تعاليم رسول الله ﷺ أن من يقول لصاحبه يوم الجمعة والامام يخطب (أنصت) يعتبر لاغيا . ومن لغا فلا جمعة له .

فأنت ترى أن هذه الكلمة الخفيفة التى دعت إليها الحاجة إلى الانصات ما حذّر منها رسول الله ﷺ الّا لايجاد الجوّ المساعد على الانصات ، والتفرغ الكامل للاستماع ، حتى يظفر الناس فى هذا اليوم بأكبر قدر من الاستفادة المرجوة .

٢ ـ ان تحدث داخل الجامع حركات تتكرر من بعض المصلين فتشوش على الآخرين راحة استماعهم . ومن تلك الحركات مثلاً معالجة فتح بعض الأبواب من غير داع أكيد ، مع احداث صرير أو قعقعة . تلتفت إليهما الرؤوس ، ومنها نقل بعض البسط ونحوها خلال الصفوف . وقد يجتمع الأمران عند خطبة واحدة ، وربما يشاهد الخطيب امرأة تتخلل صفوف الرجال ، أو أطفالا يضايقون المصلين ببعض الأفعال أو الأقوال .

وفى مثل هذه الأحوال يجب أن يقطع الخطيب بيانه ، وينهى كل من يقوم بأى عمل يكدّر جوّ الانصات المطمئن . خصوصاً إذا تكرر العمل وآذى هدوء الخاشعين ، ولقد دخل رجل مسجد رسول الله ﷺ وجعل يتخلل الصفوف . فقال له ﷺ : **(أجلس فقد آذيت وآنيت)**[1]

ولا يحسن بالخطيب أبداً أن يسكت عن أى حركة تؤذى المصلين ، إذ أنها من المنكر وإذا لم ينه الخطيب عن المنكر فمن الذى يتولّى ذلك النهى ، وكل الناس عندئذ ملزمون بالانصات .

٣ ـ ان يكون حجم الجامع لا يفى باستيعاب جميع المصلين ، فيجلس طائفة منهم فى رحاب الجامع الداخلية أو خارجها . وليس لهم ما يقيهم لفح الشمس أو تساقط الثلج ، أو طلّ المطر .

---

(١) رواه أحمد وأبوداود عن عبدالله بن بسر .

وفى مثل هذه الأحوال يجب على الخطيب أن يقصّر الخطبة بالقدر الذى لا يلحق معه ضرر بمن امتلأ الجامع دونهم ، لأن الرفق بالناس من تعاليم ديننا الحنيف ، فقد دعا ﷺ لأناس ، ودعا على آخرين فقال : (**اللهمّ من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق اللهم عليه ، ومن ولى من أمر أمّتى شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به**)[١]

أما الأسباب الناتجة عن الخطبة فهى كثيرة ، ويرجع معظمها إلى ترك الخطيب لمراعاة ما ينبغى أن تكون عليه خطبة الجمعة . وقد تقدم أكثر ذلك فى الفصول السابقة من هذا الكتاب .

وأما الأسباب الناتجة عن ذات الخطيب فمنها :

١ ـ أن تخالف بعض أفعاله شيئا من أقواله . فان ذلك يعرّضه للنقد الشديد . ويضعف التأثر به فيما يدعو إليه .

ولا يخفى أن المفروض فى خطيب الجمعة أن يكون سليماً من العيوب ، فضلاً عن أن يقوم بأخف المخالفات . ومن لازم مهمته أن يبحث فى تصرفاته بعناية ويقظة ، حتى لا تنزلق به الغفلة إلى ما لا يليق ، فان الخطر كل الخطر يكمن فى مخالفة بعض أفعاله أى شىء من أقواله . فان الفعل يهدم كل ما بناه القول ، وتتبع الناس لسلوك الدعاة أمر قديم ، قدم ظهور الدعوة إلى الله ، فلقد كان رسول الله شعيب عليه السلام يقول لقومه : ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾[٢]

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة .

(٢) سورة هود آية ٨٨ .

والناس فى جميع العصور قلّما يتفقون على أمر ، ولكنهم متفقون على هذا الأمر ، فقد نطق بلسانهم ، وترجم عما فى ضمائرهم من قال :

(يا أيها الرجل المعلّم غيره هلّا لنفسك كان ذا التعليم)
(لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم)
(أبدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهتْ عنه فأنت حكيم)
(فهناك تُسْمَعُ إن وَعَظْتَ ويقتدى بالقول منك ويقبل التعليم)

٢ ـ أن يكون الخطيب غير كفء للمهمة التى يقوم بها .

□ إما لعدم تمكنه من الثقافة الدينية الكافية ، ومثل هذا لابدّ أن يكون ضرره أكثر من نفعه .

□ واما لفقده أهمّ المؤهلات الخطابية ولو أنه على مستوى علمى لا بأس به ، وخطر هذا أقل من خطر الأول .

□ واما لأنه خال من المؤهلات العلمية والخطابية ، وكان المفروض فى مثل هذا أن لا تسند إليه مهمة الخطابة بأى حالٍ من الأحوال .

وينبغى لمن بيدهم أمور المسلمين أن يتقوا الله فى هذا الأمر ، وأن يحرصوا على اسناد خطابة الجمعة للأكفاء دون سواهم معتبرين بقول رسول الله ﷺ : **(من استعمل رجلا على عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ، ورسوله ، والمؤمنين)** [1]

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس .

مؤهلات الخطيب

من الدعاة من يدعو إلى الله بلسانه ، فيحاضر أو يسامر ، أو يدرّس أو يناقش ، ومن الدعاة من يدعو إلى الله بقلمه ، فيحرّر المقال أو يؤلّف الكتاب ، ومن الدعاة من يتحرك فى كلا الاتجاهين ، وإذا كان للخطيب حظّ فى مجال من مجالات الدعوة فانه يمتاز عن غيره بشىء عظيم الأهمية ، وهو التزامه للقيام بهذه المهمة فى وقت محدّد على الدوام .

وكثيراً ما يقوم بعض الخطباء بالقاء الدروس ، أو بغيرها من كلّ ما له صلة بالدعوة إلى الله .

وأيّا ما كان نشاط الخطيب فانه لا يرتفع إلى المستوى المرموق فى ميدان الخطابة الا إذا كان يتمتع بمجموعة من المقوّمات التى تؤهله لهذه المهمة العظيمة فى حياة الأمة .

إن تلك المؤهلات بعضها فطرىّ فى الانسان ، وبعضها صناعى ، يكتسب بالتعلم والممارسة المتواصلة .

المؤهلات الفطرية :

تنحصر هذه المؤهلات فى عنصرين إثنين ، وهما :

- □ العقل السليم .
- □ واللسان المبين .

ولقد قيل فيهما قديماً :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللّحم والدّم

أما العقل المراد هنا ، فهو الذى يتمتع صاحبه بالقدرة على البحث المركّز ، ودقة الملاحظة ، وجودة المقارنة بين الأشياء ، وسلامة الاستنتاج ، مع انتباه متواصل وبديهة نيّرة .

وبهذه المعطيات يقتدر على التصرّف بأمان فى كل ما له علاقة بالتفكير ، وكلّما كان أثير الحظّ منها ، كان اقترابه من مستوى الكمال أكثر .

ورغم الموهبة العقلية أمر فطرى ، فانها تنمو بالصقل والتهذيب ، والتدّرب المتواصل .

وأما اللسان المبين بالفطرة ، فهو السليم من العيوب ، بحيث يكون طلقاً لا يتلعثم ، ولا يشوّه صفات الحروف ، وإنما ينساب به الخطاب انسيابا مريحاً لصاحبه ، ولكل من يستمع إليه .

فإن انضم إلى سلامة العقل واللسان صوت سمح صاف ، غير هزيل ، تمت عندئذ للخطيب أعزّ المؤهلات الفطريّة المطلوبة فى هذا الميدان .

المؤهلات الصناعية :

إن أهمّ ما يتأكّد فى خطيب الجمعة من هذه المؤهلات أن يكون :

- واسع الاطلاع .
- متمكناً من قواعد اللغة .
- ممتلكاً لزاد لغوىّ ثرىّ .
- جيّد المعرفة لمقاطع الكلام .
- مقتدراً على التصرف بسهولة فى البيان .

وإليك تفصيل القول فى هذه المؤهلات :

سعة الاطلاع :

كلما كان الخطيب واسع الاطلاع ، كان اقترابه من النجاح أكثر .

وليس المراد أن يطلع على الكتاب والسنة فحسب ، لأن الكتاب والسنة هما سند كل خطاب ما فى هذا الأمر شك ، وإنما المراد ، أن يطلع على جملة من أوثق التفاسير ، وشروح السنة ، وأن يلمّ بعلم مصطلح الحديث ، وبالسيرة النبوية ، ثم بأقوال الماضين من فقهاء الأمة ، لأنهم قد خدموا هذا الدين على مدى قرون ، وتمكنوا – فى مجموعهم – من الاطلاع على ما لم يطلع هو عليه واستنبطوا أطرف النفائس ، ولأنه إذا كان على حظ من الاطلاع على ما اختلف فيه أيمة المذاهب سلم من أن يأمر أو ينهى عمّا اختلفوا فيه ، لأن ما اختلف فيه أولئك الأيمة لا يحسن أن يلزم الناس فيه بتحليل أو تحريم ، ويشتدّ فى ردّ ما لم يذهب هو إليه .

فان مال إلى بعض تلك الأقوال المتقابلة ، كان له أو يصدع به ، مع نسبته إلى أصحابه ، حتى لا يتعرض إلى استنكار من لا

يعرف من أقوال الأيمّة الا القول المخالف لما صدع به الخطيب .

وهذه النقطة كثيراً ما أثارت نزاعات لا داعى لها ، ووسّعت شقة التفرق بين الأمة . ولو فى مناطق محدودة . وما نشبت تلك النزعات الا من عدم مراعاة الخطيب لما يستدعيه الموقف فى بعض الأوساط التى لا تعرف الا قدراً محدوداً جدّاً من علوم الدين . فضلاً عن أن تلمّ بما ذهب إليه القدماء من جلة العلماء الذين أجمعت الأمة على فضلهم ، ودقة نظرهم . وعلى أن مذاهبهم لم تكن مبينة على دواع من الهوى ، أو الرّغبة فى الخلاف ، وإنما كان ذلك منهم على بيّنة وبصيرة ، وابتغاءً لرضوان الله .

ألا ترى أن الصحابة رضى الله عنهم فى حياة رسول الله ﷺ قد اختلفوا حين وجّههم إلى بنى قريظة ، وقال لهم : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . فلا يصلّ العصر الا فى بنى قريظة)** فلما توجّهوا تلقاء بنى قريظة أدركتهم صلاة العصر ، فأراد بعضهم أن يصليها أثناء السير ، لأنهم فهموا عن رسول الله ﷺ أنه أراد استحثاثهم على سرعة السير فقط ، ولكن طائفة أخرى امتنعت من أن تصلى الا فى بنى قريظة ، تمسكاً بظاهر القول النبوى الشريف ، ولما اخبروه ﷺ بما ذهب إليه كل فريق ، لم يعب لا على هؤلاء ، ولا على هؤلاء ، مع أنهم رضى الله عنهم قد اختلفوا فى تطبيق العمل بقوله ﷺ ، ولكنّ كلّا من الطائفتين أرادت الخير باجتهادها ، وما كان فى تصرفها أية رائحة لاتباع الهوى ، ولو حصل بعض ذلك منهم لأطلع الله رسوله عليه ، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يقرّهم على باطل .

وينبغي الا نفهم من هذه الحادثة أنّ لكلّ إنسان أن يدّعى أنّ له فهما خاصا لبعض نصوص الكتاب أو السنة دون أن يكون مؤهلاً لذلك بمعرفته للعلوم الآليّة . ولا لأسباب النزول ، وأسباب الحديث . ودرجاته . وما فى ذلك الكتاب والسنة من نسخ ، وعموم وخصوص ، واطلاق وتقييد . بالاضافة إلى معرفة طريقة العمل عند تعارض النصوص .

فإذا لم يكن الخطيب ملمّا بهذه العلوم ، ولا ذا قدرة على الاستفادة من المؤلفات الموضوعة فيها . ـ كى يقترب من الالتحاق بأهل هذا الشأن ـ فليحذر من التسرع إلى القول بما يفهمه فهما خاصا ، أو التسرع إلى ردّ ما فهمه غيره من أهل الاختصاص ، فيندرج عندئذ تحت قول الله تعالى :

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله﴾ [1]

والواجب عليه أن يقف عند الحدّ الذى بلغه المتضلعون منهم .

وليس هذا من باب الحجر على العقول ، فان الله سبحانه عاب من لا يتدبّرون ، وأثنى على المتفكرين . ولكن ذلك مع الاستعداد المطلوب ، فان كل علم له أدوات معينة واصطلاحات خاصة ضبطها العلماء ، ولا بد من معرفتها حتى تتيسر الاستفادة من تلك العلوم ، فعلى كل من يسعى إلى منافسة علماء الدين من قدماء هذه الأمة ، أن يستعد لهذا الأمر باتخاذ الوسائل ، واستكمال الأدوات . وليتوكل على الله . ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

---

(١) سورة يونس آية ٣٩ .

على أنّه يمكن للخطيب أن يقتصر على الاطلاع الكافى بخصوص الموضوع الذى يريد تناوله بالخطاب . فيدرس ما ورد بشأنه فى الكتاب والسنة . وما فهمه أعلام المفسرين وشراح السنة . حتى ينتهى إلى الوثوق بمعرفته للموضوع معرفة كافية .

ويجمل بالخطيب مع هذا أن يتزوّد بكل ما يجعله مقتدراً على الدعوة إلى الله على بصيرة . وأن يدرس بعناية حركات التنصير والاستعمار ، وأنواع الشبهات التى أثيرت وتثار حول الاسلام وشريعة كافة المذاهب التى تعمل بهَدْمِهمَا .

ومن تمام ثقافته المتصلة بمخاطبة الجماهير ـ فى العصر الحديث ـ أن يطلع بما فيه الكفاية على العلوم المتصلة بالحياة العامة . كعلوم الاجتماع ، والاقتصاد ، والمذاهب السياسية ، وتاريخ الأمم ، وعوامل تطورها ، وأسباب انهيار الحضارات . وليعلم الخطيب أن نجاحه فى مهمته يتضاعف بمقدار تضلّعه من علوم الدين . وإلمامه بمختلف العلوم الانسانية . واطلاعه على أحداث العالم بلا انقطاع .

التمكن من قواعد اللغة :

من أعظم عيوب الخطيب أن يستهين بمراعاة قواعد اللغة ، لأن اللحن قد يعوق السامعين عن الفهم ، وقد يشغل بعضهم بالتدبّر فيما كان ينبغى أن يصاغ عليه التعبير ، وقد يتحوّل بهم ذلك إلى التفكير فى كفاءة الخطيب ، وخصوصاً إذا تكرر ذلك منه ، فتحول هذه اللّفتات بينهم وبين متابعة الموضوع بلا انقطاع .

إن مثل هذا التصرّف ما هو إلاّ تشجيع لطائفة من المستمعين على الخروج من مجال اهتمامهم بموضوع الخطبة إلى التعلق بما يهدر استفادتهم منها الاستفادة التامة .

امتلاك الزاد اللغوى الواسع :

تزوّد الخطيب بأكبر زاد لغوى هو الضمان لاقتداره على تحديد المعانى بدقة ـ وعلى تصريف الكلام فى كل مجال بدون عائق .

وعلى الخطيب ـ مع ذلك ـ أن يواصل الاطلاع على مختلف الأساليب البيانية الجيّدة ، وأن يتأمل من مواطن الجودة فيها ، وأن يعمل على احتذاء أرشقها لفظاً ، وأطرفها معنى ، وأجودها أسلوباً ، على أن يكون اهتمامه باللفظ والمعنى على سواء .

قال أبوعلى الحسن بن رشيق : (اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فاذا سَلِمَ المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصاً للشعر[1] وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعوروما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إنْ ضعف المعنى واختل بعضه كان للّفظ ، من ذلك أوفر حظ ، كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح)[2]

ويتجاوز فخر الدين الرازى هذا الحدّ فيقول : (الكلام له جسم ، وهو اللفظ ، وله روح ، وهو المعنى ، وكما أن الانسان

(١) إن كلام ابن رشيق هنا مقتصر على الشعر بناء على ما اقتضاه موضوع كتاب العمدة ـ والواقع أن رأيه منطبق تماما على منظوم الكلام ومنثوره .
(٢) العمدة ج ١ ص ٨٠ .

الذى نوّر روحه بالمعرفة ينبغى أن ينوّر جسمه بالنظافة ، كذلك لكلام ، ورب كلمة حكيمة لا تؤثر فى النفوس لركاكة لفظها)[1]

فأنت ترى أن البيان الرفيع عنده يتمثل فى اللفظ النظيف الأنيق ، وفى المعنى الكريم المستنير ، لا فى مجرد الصّحّة والسلامة .

وإذا ارتفع المتكلم إلى هذا المرتقى ، كانت عثراته النّادرة مغتفرة فيه ، قال أبوالعباس المبرد : (وقد يضطّر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ فيقع فى كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فاذا انعطفت عليه جَنْبَتَا الكلام غطّتا على عواره ، وسترتا من شينه)[2]

وليعلم كل متعاط للخطابة أن الاطلاع على كلام البلغاء ، ومواصلة الاستفادة منه ، أمرٌ لا يمكن الاستغناء عنه ، يقول ابن الأثير فى المثل السائر : (إن فى الاطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمة ، لأنّه يعلم منه أغراض الناس ، ونتائج أفكارهم ، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، وإلى أين ترامت به صنعته فى ذلك ، فان هذه الأشياء مما تشحّذ القريحة ، وتزكى الفطنة ، وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بها ، تصير المعانى التى ذكرت وتعبت فى استخراجها كالشىء المنقّى بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ، وأيضاً فانه إذا كان مطّلعاً على المعانى المسبوق إليها ، قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه ومن المعلوم أن خواطر الناس ـ وإن كانت متفاوتة فى الجودة والرداءة ـ فان بعضها

---

(١) مفاتح الغيب ج ١ ص
(٢) الكامل ج ١ ص ١٤ .

لا يكون عالياً على بعض أو منحطّاً عنه الا بشيء يسير)[1]

أما الاستفادة من الأسلوب القرآنى فهى أجل وأعظم ، وميدانها أرحب وأعجب ، ذلك لأن أسلوبه العزيز يمتاز بروائع ، لا حدّ لأبعادها ، ولتوضيح شيء منها . يكفى أن نتأمل فى ميزتين عجيبتين فيه ، يحدثنا عنهما علمان من أعلام البيان .

أما الميزة الأولى فهى استعماله اللفظ القوىّ الجزل فى مقامات معينة . واستعماله اللفظ اللطيف الرقيق فى مقامات أخرى . ويحدثنا عن هذه الميزة ابن الأثير فى المثل السائر ، مقابلاً بين الجزل والرقيق ، وعارضاً نماذج من استعمالها فى الكتاب العزيز ، فيقول : (لست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيّاً متوعّراً ، عليه عنْجَهِيَّةُ البداوة ، بل أعنى بالجزل أن يكون متيناً على عذوبة فى الفم ، ولذاذة فى السمع . ولذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسافاً . وإنما هو اللطيف الرقيق الناعم الملمس .

وسأضرب لك مثالاً للجزل من الألفاظ والرقيق . فأقول : أنظر إلى قوارع الألفاظ عند ذكر الحساب . والعذاب . والميزان ، والصراط ، وعند ذكر الموت . ومفارقة الدنيا . وما جرى هذا المجرى ، انك لا ترى شيئاً من وحشى الألفاظ ، متوعّراً .

ثم أنظر إلى ذكر الرحمة . والرأفة . والمغفرة ، والملاطفات فى خطاب الأنبياء . وخطاب المذنبين ، والتّائبين من العباد . وما

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٩ .

جرى هذا المجرى ، فانك لا ترى شيئاً من ذلك ضعيف الألفاظ ولا سفسافا .

فمثال الأول وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى :

﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون . وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم ، أجر العاملين﴾ (١)

قال ابن الأثير : فتأمل هذه الآيات المتضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله ، وذكر النار والجنة ، وانظر هل فيها لفظة الا وهى سهلة مستعذبة ، على ما بها من الجزالة .

وكذلك ورد قوله تعالى :

---

(١) سورة الزمر الآيات من ٦٨ إلى ٧٤ .

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم . وضل عنكم ماكنتم تزعمون﴾ (١)

ومثال الثانى ، وهو الرقيق من الألفاظ . فقوله تعالى فى مخاطبة النبى ﷺ :

﴿والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى﴾.... والى آخر السورة ..

وكذلك قوله فى ترغيب المسألة :

﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان﴾ (٢)

وهكذا ترى سبيل القرآن فى كلا هذين الحالين من الجزالة والرّقّة (٣) ...

فالألفاظ الجزلة تتخيل كأشخاص عليها مهابةٌ ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوى دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج .

وإذا انعمت نظرك فيما ذكرته لك ههنا ، وجدتنى قد دللتك على الطريق ، وضربت لك أمثالاً مناسبة (٤)

---

(١) سورة الانعام آية ٩٤ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٣) المثل السائر صفحات ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ .
(٤) نفس المصدر ص ١٧٨ .

وأما الميزة الثانية التى استأثر بها الأسلوب القرآنى فهى الابداع العجيب فى انتقاله من فن إلى فن بمنتهى السلاسة والطرافة ، بحيث لا يشعر المرء بانتقاله من فنّ الا حالما يندمج فى فن آخر ، ويحدثنا عن هذه الميزة الرائعة سماحة الأستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله فيقول : (ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن ، وهو بداعة تنقلاته من فنّ إلى فن بطرائق الاعتراض ، والتنظير ، والتذييل ، والاتيان بالمترادفات عند التكرار تجنباً لتكرار الكلم . وكذلك الاكثار من اسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية ، فهو فى القرآن كثير ، ثم الرجوع إلى المقصود ، فيكون السامعون فى نشاط متجدّد بسماعه ، واقبالهم عليه ، ومن أبدع أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم . وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه . وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم . إن الله على كل شىء قدير﴾[1]

بحيث كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة ، العزيز مثلها فى شعر العرب ، وفى نثر بلغائهم من الخطباء وأصحاب بدائه

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

الأجوبة . وفى هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المنتقل منه والمتنقل إليه هى فى منتهى الرقة والبداعة . بحيث لا يشعر سامعه وقارئة بانتقاله الا عند حصوله ، وذلك التفنن ممّا يعين على استماع السامعين ، ويدفع سآمة الاطالة عنهم ، فان من أغراض القرآن . استكثار أزمان قراءته ، كما قال تعالى :

﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم . فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ (١)

فقوله ما تيّسر يقتضى الاستكثار بقدر التيسر ، وفى تناسب أقواله . وتفنن أغراضه مجلبة لذلك التيسير ، وعون على التكثير (٢)

معرفة مقاطع الكلام :

إن مقاطع الكلام هى التى يحسن أن يقف عندها الخطيب ، فيتنفس . ثم يواصل كلامه . وان معرفة المقاطع ومراعاة الموقوف عندها ، أمران لازمان لكل خطيب ، حتى لا تلتبس المعانى على السامعين وان لهما ــ فوق ذلك ــ أثرا واضحاً فى تيسير الفهم لما يلقى عليهم .

إن طائفة ممن يقرأون الخطب من الورق لا يراعون مقاطع الكلام ، ويكثر هذا منهم إذا لم تكن الخطب من تحريرهم ، ويتفاقم الخطر فيما إذا كانوا غير فاهمين لما يعنيه محرر الخطبة . ومن هنا يضطرب فهم السامعين أو يعسر على الأقل .

---

(١) سورة المزمّل آية ٢٠ .
(٢) من تفسيره الضخم المسمى بالتحرير والتنوير ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

فإذا أراد أحد أولئك الخطباء أن يقرأ مثل هذا الكلام :

(وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ المذكورون فى الخير الا شبابا ؟

شبابا والله مكتهلون فى شبابهم .

غضيضة عن الشر أعينهم

ثقيلة عن الباطل أرجلهم

أنضاء عبادة .)

ربما قرأه مقطعاً بأوقاف رديئة على النحو التالى :

(وهل كان أصحاب رسول الله المذكورون

فى الخير الا شبابا .

شباب والله مكتهلون

فى شبابهم غضيضة عن الشر

أعينهم ثقيلة عن الباطل

أرجلهم أنضاء عبادة)

وهكذا يتبين الفرق الشاسع بين جمال المعنى ، ونصاعة التعبير ، والمتوفّرين فى الكلام ، وبين ما لحقهما من تشويه فظيع ، لعدم ادراك الخطيب لما يجب عليه من معرفة مقاطع الكلام ، والالتزام بالوقوف عندها .

القدرة على التصرف البيانى :

الخطيب المحنّك هو الذى استكمل تدربه على التصرف البيانى

بسهولة . فيستخدم الايماء حيناً . والاشارة حينا . والتصريح ببعض الصفات الجارحة حيناً . كما يستطيع أن يلطّفها . فيدفع أصحابها إلى التخلّى عنها بسهولة . وأن يختار من البيان ما يتناسب مع كل موقف .

فاذا ذكر مثلاً بعض التصرفات التى يوصف أصحابها عادة بأنهم أغبياء . استطاع أن يصفهم بأنهم فى حاجة إلى قدر من الانتباه ، ليرتفعوا إلى ما تطمح إليه الهمم العلية من مقامات الكمال .

وإذا أراد وصف الأغنياء المحجمين عن البذل بأنهم أشحاء بخلاء . أو بأنهم قد استجابوا لنداء الشيطان الذى يعدهم الفقر . ويأمرهم بالفحشاء ، كان يستطيع أن يصفهم بأنهم أناس شغلتهم فضيلة عن فضيلة ، هؤلاء قد اشتغلوا بالكسب ، فأعفوا نفوسهم من الاحتياج . وأراحوها عندما اتبعوها . ولكنّ هذه الفضيلة لعظيمة قد شغلتهم عن اكتساب فضيلة أعظم ، وهى الاعلان عن شكر الله ببذل القليل مما أنعم الله عليهم ، فنفعوا المحرومين من اخوانهم . ثقة بأن ذلك هو الكسب الأعظم ، وهو الذى سيجدونه مدّخراً عند الله سبحانه .

وهكذا يتبين الفرق الشاسع بين المنهجين وبمثل هذا التصرف يمتلك الخطيب عنصراً من أهمّ عناصر التأثير .

على الخطيب أن لا ينسى :

على الخطيب مع كل ما تقدم أن لا ينسى :

١ ـ ان مهمة الإرشاد هي في الأصل وظيفة الأنبياء المرسلين . فانهم عليهم الصلاة والسلام ما أرسلهم الله الا لهداية الناس . وايقاظهم من الغفلة ، ثم ان هذه المهمة العظيمة قد ائتمن الله عليها من كانوا لها أهلاً من ورثة الأنبياء ، فقال سبحانه :

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[1]

وقال سبحانه :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون﴾[2]

وقال سبحانه :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[3]

وقال ﷺ : **(والذى نفسى بيده لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنّه فلا يستجيب لكم)**[4] وقال ﷺ : **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك**

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) سورة فصلت آية ٣٣ .

(٤) رواه الترمذى عن حذيفة .

من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)[1]

٢ ـ ان عمر بن الخطاب نصح سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما فقال : إذا أحبّ الله عبداً حبَّبه إلى خلقه ، ثم قال له فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك)[2]

٣ ـ إن أهل العلم بالدين يعلمون أن كل راع مسؤول عن رعيته ، ويعلمون أنهم رعاة الأمة فى دينها ، إذ هم مطالبون بتصحيح عقيدتها وتوجيهها إلى تقويم سلوكها على المنهج الذى شرعه الله ، فلقد قال سبحانه : **﴿وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه﴾**[3]

والسكوت على الباطل كثيراً ما يكون تشجيعاً على إقراره . فقد قال علىّ رضى الله عنه (لا قيام للباطل الا فى غفلة من الحق) وقد قيل :

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولَّى رعيها الأسد

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .

(٢) يشير رضى الله عنه بالفقرة الأولى إلى الحديث المشهور وهو : إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأحبّه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، رواه الشيخان عن أبى هريرة ويشير عمر بالفقرة الثانية إلى ما رواه الدار قطنى عن أنس ، نصّه : **(من أراد أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده)** .

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

فعلى الخطيب أن يكون مستيقظ الفؤاد ، متواصل الانتباه لكل الأحداث ، يصدع بالحق فى شجاعة وثبات . ولا يخاف فى الله لومة لائم ، ففى الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنّه قال : (بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول بالحق أينما كنا . لا نخاف فى الله لومة لائم)

على أن السكوت أحيانا قد يكون مداراة ، والمداراة مطلوبة بقدر الضرورة ، وقد تتأكّد إذا كان الإنكار يفضى إلى محذور أشدّ ، وإلى منكر أعظم ، على أن لا تتحوّل المداراة إلى مداهنة أو مجاراة .

ومع ذلك فينبغى انتظار أول فرصة تغتنم للقيام بهذا الواجب العظيم .

فللأمور مواقيت مقدرة وكل أمر له حدّ وميزان

على أنّ من الخير أن يعمل على إيجاد الفرصة إذا استطاع ، ليفوز من الله بأجرين عظيمين .

٤ ـ أن من الواجب عليه أن يتحاشى الخوض فى دقائق علم الكلام ، حتى لا يفتن المستمعين بما لا يطيقون فهمه ، مخافة أن تختلّ بذلك عقيدتهم ، ويصعب من بعد ذلك إصلاحها .
ولقد روى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (**ما أحد يحدّث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم**)

٥ ـ ان يتمسك بالأناة ، وعدم استعجال النتائج ، وأن لا يحمله

تأخرها على الغضب أو اليأس ، فلقد أرسل الله نوحاً إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً ، يدعوهم فيها إلى الله ، فما سئم ، ولا كلّ ولا ملّ ، ومع طول هذا الأمد فلم يؤمن معه ﷺ الا قليل ، والله سبحانه يقول لنبينا ﷺ :

﴿فذكّر إنما أنت مذكّر ، لست عليهم بمسيطر﴾(١)

٦ ـ أن يهتمّ بالخطبة الثانية مثلما يهتم بالخطبة الأولى ، ولا يكون كالذين يلتزمون فى الثانية نصّاً لا يتغيّر .

وله أن يجعل الثانية امتداداً لموضوع الأولى ، كما له أن يتناول فيها موضوعاً آخر ، ومن المستحسن أن يأخذ بهذه الطريقة مرة وبتلك مرة أخرى ، تبعاً لما تتطلبه المواقف ، وما تقتضيه المواضيع المختلفة .

٧ ـ أن يحترم كرامة المصلين ، فلا يعتمد على أن من المفروض عليهم أن يصلوا الجمعة ، فمن أجل ذلك يرى أن عليهم أن يحضروا الخطبة وأن ينصتوا إلى كل ما يقدم إليهم سواء استفادوا أم لم يستفيدوا ، بل عليه أن يبذل أقصى ما يستطيع ، ليستفيدوا أعظم الاستفادة .

٨ ـ أن يحذر من أن يتخذ الخطبة وسيلة للثأر ممّن يعاديه عداوة شخصية .

إن بعض الخطباء إذا أساء إليه شخص يبادر إلى القاء خطبة يتناول فيها تلك الاساءة ، ويهاجم خصمه ، بما يشفى به غليله ، وليست هذه الطريقة الا احدى الحماقات التى يتصرف

---

(١) سورة الغاشية آية ٢١ و ٢٢ .

بها بعضهم ، حتى عرفوا بأنهم أناس مع حظوظ أنفسهم .

نعم ان تلك الاساءة قد تكون تنبيها من الله للخطيب على معالجة أمثالها . وذلك من فضل الله عليه وعلى الناس . أما أن يتناولها هى بذاتها ، ثم يتناول من صدرت عنه بالوصف الكاشف والنعت المحدود ، فان ذلك ليس الا نوعاً من العربدة التى تتنزّه عن مثلها المنابر .

٩ ـ إن من واجبه أن يتعرض بالنقد لبعض الأوضاع ، لكن من غير أن يؤذى أحداً بمس كرامته ، فيصفه بأوصاف تعيّنه للسامعين تعييناً تاماً ، حتى كأنه سماه باسمه الخاص ، وليكن مقتدياً برسول الله ﷺ إذ كان يقول فى مثل هذا الموقف مابال أقوام يفعلون كذا وكذا .

١٠ ـ أن يحذر من التوكّؤ على تعبير واحد ، يكرره من حين إلى آخر ، ليملأ به الفجوات التى تفصل بين أجزاء الكلام ، فيصبح ذلك التعبير حشواً ينحط به مستوى الخطبة ، وقد يضايق المستمعين ، ويتضاعف ضجرهم بمقدار ما يكثر من الاتكاء على ذلك التعبير .

وأنواع الاتكاء التى يعتادها بعض الناس كثيرة ، منها قولهم :

ـ أليس كذلك ؟

ـ شايفين ؟

ـ هل فهمتمونى ؟

ـ على كل حال .

ـ ليس عندى ما أقول لكم أكثر مما قلت . (ثم يستمر فى القول !)

وتتكرر أمثال هذه التعابير الحشوية بمناسبة ، وبدون مناسبة .

وقد يكون الإتكاء على سعال مفتعل ، أو نحنحة مستمرة بلا موجب .

إن هذا الاتكاء ونحوه ما هو الا نوع من الكلال فى المقال الذى عناه أبواليقظان ابن حفص فيما قال :

أعوذ بالله من الإهمال ومن كلال الغَرْب فى المقال
ومن خطيب دائم السُّعال

هذا والله سبحانه ولى التوفيق وله الحمد أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى الطاهر الزكى وعلى آله وصحبه وسلم .

القسم الثانى

نماذج من عيون الخطيب
(١)

من خطب رسول الله ﷺ :

روى الامام أحمد عن أبي حرة الرّقاشي عن عمه ، قال : كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ فى وسط أيام التشريق أذود عنه الناس ، فقال :

«**يا أيها الناس ، هل تدرون فى أى شهر أنتم ؟ وفى أىّ يوم أنتم ؟ وفى أى بلد أنتم ؟**»

فقالوا فى يوم حرام . وبلد حرام . وشهر حرام .

قال : «**فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، إلى يوم تلقونه**» .

ثم قال «**اسمعوا منى تعيشوا ، ألَا ، لآ تظلموا . ألا ، لا تظلموا ألاَ لا تظلموا ، ألا ، لا يحلّ مال أمرىء مسلم الا بطيب نفس منه . ألا وان كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه إلى يوم القيامة ، وأن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . كان مسترضعاً فى بنى ليث ، فقتلته هذيل ، ألا وان كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وان الله عز وجل قضى أن أوّل ربا يوضع ربا العباس بن عبدالمطلب . لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،**»

ثم قرأ :

﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيّم . فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾[1]

«ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون . ولكنه فى التحريش بينكم . واتقوا الله فى النساء ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وأن لهن عليكم حقاً ، ولكم عليهنّ حقاً ، أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم . ولا يأذنّ فى بيوتكم لأحد تكرهونه . فان خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرّح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وانما اتخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عزّ وجل .

ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها» .

وبسط ﷺ يديه وقال : «ألا هل بلّغت ؟ ألا هل بلّغت ؟» ثم قال : «ليبلغ الشاهد الغائب ، فانه رب مبلّغ أسعد من سامع» .

(٢)

أما بعد فان الدنيا خضرة حلوة ، وان الله تعالى مستخلفكم فيها . فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء ، ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى : منهم من يولد مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ، ويموت مؤمناً . ومنهم من يولد كافراً ، ويحيا كافراً ، ويموت كافراً ، ومنهم من يولد

---

(١) سورة التوبة آية ٣٦ .

مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ، ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً . ويحيا كافراً ويموت مؤمناً .

ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فان وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض .

ألا ان خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا . فإذا كان الرجل بطىء الغضب بطىء الفىء ، وسريع الغضب سريع الفىء ، فانها بها .

ألا أن خير التجّار من كان حسن القضاء حسن الطلب . وشر التجار من كان سىء القضاء سىّء الطَّلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سىء الطلب ، أو كان سىء القضاء حسن الطلب فانها بها .

ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، وأكبر الغدر غدر أمير عامة .

ألا لا يمنعنّ رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه .

ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ألا ان مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه[(١)]

(٣)

أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا ، فيقول هذا من عملكم

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى فى الشعب عن أبى سعيد الخدرى .

وهذا أهدى إلىّ ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه ، فينظر هل يهدى له أم لا . فوالذى نفس محمد بيده لا يغلّ أحدكم منها شيئاً الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ان كان بعيراً جاء به له رغاء . وان كانت بقرة جاء بها لها خوار ، وإن كانت شاة جاء بها تيعر . فقد بلّغت[1]

من خطب أبى بكر رضى الله عنه :

(١)

عن عبدالله بن عكيم أنه قال : خطبنا أبوبكر فقال :

(أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، وأن تُثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف فى المسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال :

﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾[2]

ثم أعلموا عباد الله ان الله عز وجل قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم ، لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره . فصدّقوا قوله ، وانتصحوا كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة فانما خلقكم للعبادة ، ووكّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون .

ثم اعلموا عباد الله أنكم لتغدون وتروحون فى أجل قد غيّب

---

(١) رواه الشيخان وأبوداود عن أبى حميد الساعدى .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٩ .

عنكم علمه . فان استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل لله فافعلوا . ولن تستطيعوا ذلك الا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى فتردكم إلى سوء أعمالكم . فان قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا . النجاء النجاء ، إن وراءكم طالبا حثيثاً أمره سريع [1]

(٢)

وخطب رضى الله عنه حين أشير عليه بترك قتال المرتدين ومانعى الزكاة فقال :

(أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت

أيها الناس

أَإِنْ كثُرَ أعداؤكم ، وقلّ عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرنّ هذا الدين على الأديان كلها ، ولو كره المشركون ، قوله الحق ، ووعده الصدق

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون﴾ [2]

﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين﴾ [3]

---

(١) رواه ابن أبى شيبة عن عبدالله بن عكيم .
(٢) سورة الأنبياء آية ١٨ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

أيها الناس

و لله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه . واستعنت بالله إنه خير معين[1]

(٣)

عن قيس بن أبى حازم أن أبابكر رضى الله عنه خطب فقال :

(أيها الناس

إنكم تقرؤن هذه الآية وتصغونها على غير ما وضعها الله :

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم﴾[2]

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه . يوشك الله أن يعمهم بعقابه)

وعن أوسط البجلى أنه قال خطب أبوبكر رضى الله عنه فقال :

(قام رسول الله ﷺ عام الأول مقامى هذا . (ثم بكى ثم قال) :

عليكم بالصدق فانه مع البر . وهما فى الجنة . وإياكم والكذب فانه مع الفجور . وهما فى النار . وسلوا الله المعافاة . فانه لم يؤت رجل بعد اليقين شيئاً خيرًا من المعافاة . (ثم قال) : لا تقاطعوا . ولا تدابروا . ولا تباغضوا ولا تحاسدوا . وكونوا عباد الله اخوانا[3]

---

(١) الخطابة لأبى زهرة .

(٢) سورة المائدة آية ١٠٥ .

(٣) لرياض النضرة للطبرى .

من خطب عمر رضى الله عنه :

(١)

كانت أول خطبة خطبها أنه حمد الله فيها وأثنى عليه وقال :

(اللهم إنى شديد فليّنى ، وإنى ضعيف فقوّنى ، وإنى بخيل فسخّنى ، ثم قال :

أما بعد فقد ابتليت بكم ، وابتليتم بى ، وخُلّفت فيكم بعد صاحبىّ ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بانفسنا ، ومن غاب عنا ولّيناه أهل القوّة والأمانة ، فمن يحسن نزده حسنى ، ومن يسىء نعاقبه . ويغفر الله لنا ولكم[١])

(٢)

ولما دخل الشام خطب فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ ذكّر ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال :

(إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً كقيامى فيكم ، فأمر ﷺ بتقوى الله وصلة الرحم ، واصلاح ذات البين ، وقال عليكم بالجماعة ، فان يد الله على الجماعة ، وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، لا يخلوّن رجل بامرأة ، فان الشيطان ثالثهما . ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهى أمارة المسلم المؤمن ، وأمارة المنافق الذى لا تسؤه سيئته ولا تسرّه حسنته ، أن يعمل خيراً لم يرج من الله فى ذلك الخير ثواباً ، وإن عمل شراً لم يخف من الله فى ذلك

---

(١) الرياض النضرة للطبرى .

الشر عقوبة ، واجملوا فى طلب الدنيا . فان الله قد تكفل بأرزاقكم . وكلٌّ سيتم عمله الذى كان عاملاً . استعينوا بالله على أعمالكم . فانه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب . صلى الله على نبينا محمد وآله . عليه السلام ورحمة الله . السلام عليكم [1]

(٣)

وخطب رضى الله عنه فقال :

(يا أيها الناس .

ألا انما كنا نعرفكم إذ كان بين ظهرانينا النبى ﷺ وإذ ينزل الوحى . وإذ ينبئنا الله من أخباركم . ألا وان النبى ﷺ قد انطلق . وانقطع الوحى . وإنما نعرفكم بما نقول لكم :

من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً . وأحببناه عليه ، ومن أظهر لنا شراً أبغضناه عليه . سرائركم بينكم وبين ربكم .

ألا أنه قد أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده . فقد خيّل إلىّ بآخرة أن رجالا قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس ، فأريدوا الله بقراءته ، وأريدوه بأعمالكم ،

ألا وانى والله ما أرسل عمّالى إليكم ليضربوا أبشاركم . ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم . فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ . فوالذى نفسى بيده إذاً لأقصّنّه منه .

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب وابن عساكر ، كلاهما عن السائب بن مهجان .

ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم . ولا تجمروهم[1] فتفتنوهم . ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم . ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم[2]

من خطب عثمان رضى الله عنه :

(١)

لما اجتمعت جيوش كسرى بنهاوندا استشار عمر بن الخطاب المسلمين فى الخروج إليهم وفى تولى القيادة بنفسه ، فخطب عثمان رضى الله عنه . وقال بعد أن حمد الله وتشهد :

(أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام ، فيسيروا من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن ، فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين البصرة والكوفة ، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فانك ان سرت بمن معك ، ومن عندك تكن فى نفسك بالكاثر من عدد القوم ، وكنت أعزّ عزّا وأكثر . انك لا تستبقى من نفسك بعد اليوم باقية ، ولا تمنع من الدنيا بعزيز ، ولا تكون منها فى حرز حريز ، ان هذا اليوم له ما بعده ، فاشهده بنفسك ورأيك وأعوانك ، ولا تغب عنه[3])

(٢)

لمّا بايع أهل الشورى عثمان خرج رضى الله عنه وهو أشدهم

(١) يقال جمّر الجيش إذًا حبسه فى أرض العدوّ .
(٢) رواه ابن سعد ف الطبقات والحاكم فى المستدرك والبيهق فى السنن .
(٣) تاريخ الطبرى .

كآبة . فأتى منبر رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ وقال : إنكم فى دار قلعة[1] وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم . صبّحتم أو مسيتم . ألا وان الدنيا طويت على الغرور . فلا تغرنكم الحياة الدنيا . ولا يغرّنكم بالله الغرور . واعتبروا بمن مضى ثم جدّوا ولا تغفلوا . فانه لا يغفل عنكم ، أين أبناء الدنيا وأخوانها الذين آثروها وعمروها ، ومتّعوا بها طويلاً ، ألم تلفظهم ؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلاً وللذى هو خير فقال عز وجل : ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح . وكان الله على كل شيء مقتدرا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا . والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**﴾[2]

(٣)

عن أبى صالح مولى عثمان أنه قال : سمعت عثمان رضى الله عنه يقول على المنبر :

أيها الناس :

إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ كراهة تفرّقكم عنى ، ثم بدا لى أن أحدثكموه . ليختار أمرؤ لنفسه ما بدا له . سمعت رسول الله ﷺ يقول : رباط يوم فى سبيل الله تعالى خير من

---

(١) دار تحوّل وارتحال .

(٢) سورة الكهف آية ٤٦ والخطبة رواها الطبرى فى تاريخه .

ألف يوم فيما سواه من المنازل .[1]

ومن خطب على رضى الله عنه :

(١)

خطب رضى الله عنه فى الاستسقاء فقال :

(الا وان الأرض تحملكم ، والسماء تظلكم ، مطيعتان لربكم ، وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجّعا لكم ، ولا زلفة إليكم ، ولا لخير ترجوانه منكم ، ولكن امرتا بمنافعكم فأطاعتا ، وأقيمتا على حدود مصالحكم فأقامتا .

إن الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ، واغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ، ويُقلِع مقلع ، ويتذكر ، ويزدجر مزدجر ، وقد جعل الله الاستغفار سبباً لدرور الرّزق ، ورحمة الخلق . فقال :

﴿استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين﴾[2]

فرحم الله امرأ استقبل توبته ، واستقال خطيئته ، وبادر منيته .

اللهم انا خرجنا إليك من تحت الأستار والأكنان ، وبعد عجيج البهائم والولدان ، راغبين فى رحمتك ، وراجين فضل نعمتك ، وخائفين من عذابك ونقمتك .

اللهم فاسقنا غيثك ، ولا تجعلنا من القانطين ، لا تهلكنا

---

(١) رواها أحمد فى المسند.

(٢) سورة نوح آيات ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ .

بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين .

اللهم انا خرجنا إليك . نشكو إليك ما لا يخفى عليك . حين ألجأتنا المضائق الوعرة ، وأجاءتنا المقاحط المجدبة ، وأعيتنا المطالب المتعسرة . وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة .

اللهم إنا نسألك أن لا تردّنا خائبين . ولا تقلبنا واجمين . ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا .

اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ، ورزقك ورحمتك . واسقنا سُقيي نافعة مروية معشبة . تنبت بها ما قد فات ، وتحيي بها ما قد مات ، نافعة الحيا . كثيرة المجتنى ، تروى بها القيعان . وتسيل البطنان . وتستورق الأشجار . وترخص الأسعار . إنك على ما تشاء قدير[1]

(٢)

وخطب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أيها الناس

إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصى . ولمّا لم ينههم الربانيون والأحبار . أنزل الله بهم العقوبات . ألا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم . واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقا . ولا يقرب أجلا ، ان الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدّر الله لها ،

---

(١) نهج البلاغة .

من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس . فاذا أصاب أحدكم النقصان فى أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره فلا يكونّن ذلك له فتنة ، فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ويُغْرَى به لئام الناس كالياسر الفالج الذى ينتظر أول فوزة من قداحة توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم . فكذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ، إنما ينتظر احدى الحسنيين ، إذا ما دعا الله ، فما عند الله خير له . وأما أن يرزقه الله مالا ، فاذ هو ذو أهل ومال ، الحرث حرثان : المال والبنون حرث الدنيا . والعمل الصالح حرث الآخرة . وقد يجمعها الله لأقوام[1]

(٣)

وخطب رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع . وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع ، وان المضمار اليوم . وغدا السباق . ألا وانكم فى أيام عمل ، من ورائه أجل ، فمن قصّر فى أيام عمله قبل حضور أجله فقد خيّب أمله ، ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وانى لم أر كالجنة نائم طالبها ، ولم أر كالنار نائم هاربها ، ألا وانه من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال ، ألا وانكم أمرتم بالظعن وللتم على الزّاد .

ألا أيها الناس إنما الدنيا غرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر . وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، ألا ان الشيطان

---

(١) ابن عساكر.

يعدكم الفقر . ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم .

أيها الناس احسنوا فى عمركم . تحفظوا فى عقبكم . فان الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه . وأوعد ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل [1]

خطبة لسليمان بن عبدالملك :

الحمد لله . ألا ان الدنيا دار غرور . ومنزل باطل . تضحك باكيا . وتبكى ضاحكا . وتخيف آمنا . وتؤمن خائفا . وتفقر مثريا . وتثرى مقترا . غرّارة . لعّابة بأهلها . عباد الله . فاتخذوا كتاب الله اماما . وارتضوا به حكماً . واجعلوه لكم قائدا . فانه ناسخ لما كان قبله . ولم ينسخه كتاب بعده . واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان . كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفّس . ظلام الليل إذا عسعس [2]

خطبة لعمر بن عبدالعزيز :

وخطب فقال :

(أما بعد : أيها الناس . فلا يطولن عليكم الأمد . ولا يبعدنّ

---

(١) ابن عساكر .
(٢) العقد الفريد ٢ : ١٤٣

عنكم يوم القيامة ، فان من زافت به منيّته ، فقد قامت قيامته ـ لا يستعتب من سيّء ، ولا يزيد فى حسن ، الا لا سلامة لامرىءٍ فى خلاف السنة ـ ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، ألا وانكم تعدّون الهارب من ظلم إمامه عاصيا ، ألا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم ، ألا وانى أعالج أمراً لا يعين عليه الا الله ، قد فنى عليه الكبير ـ وكبر عليه الصغير ـ وفصح عليه الأعجمىّ ، وهاجر عليه الأعرابىّ ، حتى حسبوه دينا ، لا يرون الحقّ غيره) . ثم قال : (إنه لحبيب إلىّ أن أوفّر أموالكم وأعراضكم الا بحقّها ، ولا قوة الا بالله)[1]

خطبة أخرى له :

وخطب فقال :

(إن لكل سفر زادا لا محالة ـ فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ـ وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرغبوا ورهبوا ، ولا يطولنّ عليكم الأمد ، فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فانه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد امسائه ، ولا يمسى بعد اصباحه ـ وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ـ فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً ، فأصبح فى حبائل خطوبها ومناياها أسيراً ، وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ـ وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص ٤٠ ، ولابن الجوزى ص ٢٠٤ .

من كلم الا أصابه جارحٌ من ناحية أخرى . فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى . فتخسر صفقتى . وتظهر عورتى . وتبدو مسكنتى . فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير . والموازين منصوبة والجوارح ناطقة . فلقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت . ولو عنيت به الجبال لذابت . أو الأرض لانفطرت . أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة . وانكم صائرون إلى احدهما ؟)[1]

خطبة أخرى له :

(من وصل أخاه بنصيحة له فى دينه . ونظر له فى صلاح دنياه . فقد أحسن صلته . وأدى واجب حقه . فاتقوا الله فانها نصيحة لكم فى دينكم . فاقبلوها . وموعظة منجية فى العواقب . فالزموها . الرزق مقسوم فلن يعدو المؤمن ما قسم له . فاجملوا فى الطلب . فان فى القنوع سعة وبلغة . وكفافا . وان أجل الدنيا فى أعناقكم . وجهنم أمامكم . وما ترون ذاهب . وما مضى فكأن لم يكن . وكلّ أموات عن قريب . وقد رأيت حالات الميت وهو يسوق . وبعد فراغه وقد ذاق الموت . والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله . وعاينتم تعجيل اخراجه . وقسمة تراثه . ووجهة مفقود . وذكره منسىّ . وبابه مهجور . كأن لم يخالط اخوان الحفاظ . ولم يعمر الديار . فاتقوا هول يوم لا يحقر فيه مثقال ذرة

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ١٩٦ .

فى الموازين)[1]

آخر خطبة له :

وخطب بخناصر خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(أيها الناس : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، التى وسعت كل شىء ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير ، وفانيا بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تردّوا إلى خير الوارثين ، ثم أنتم فى كل يوم تشيّعون غاديا ورائحاً إلى الله ، قد قضى نحبه ، وبلغ أجله ، ثم تغيّبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسّد ولا ممهّد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدّم وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفر الله لى ولكم ، وما تبلغنا عن أحد منكم حاجة ، يتسع لها ما عندنا الا سددناها ، ولا أحد منكم الا وددت أن يده مع يدى ، ولحمتى الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وأيم الله أنى لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة ، لكان اللسان منى ناطقاً ذلولا ، عالما بأسبابه ، لكنه مضى من الله

---

(١) تاريخ الطبرى ٨ : ١٤٠ .

كتاب ناطق . وسنة عادلة . دل فيها على طاعته . ونهى فيها عن معصيته) . ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه . ثم نزل . فلم ير على تلك الأعواد حتى قبضه الله.[1]

خطبة لقطرى بن الفجاءة :

أما بعد فانى احذركم الدنيا . فانها حلوة خضرة . حفت بالشهوات وراقت بالقليل . وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال . وزينت بالغرور لا تدوم نضرتها . ولا تؤمن فجعتها . غرارة ضرارة . وحائلة زائلة . ونافذة بائدة . لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها . والرضا عنها . أن تكون كما قال الله عز وجل :

﴿كماء أنزلناه من السماء. فاختلط به نبات الأرض . فأصبح هشيما تذروه الرياح . وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[2]

مع أن امرأ لم يكن منها فى حبرة . الا اعقبته بعدها عبرة . ولم يلق من سرائها بطناً . الا منحته من ضرائها ظهرا . ولم تصله منها ديمة رخاء . الا هطلت عليه مزنة بلاء . وحرية إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له خاذلة متنكرة . وأن جانب منها اعذوذب واحلولى . . أمَرَّ عليه جانب فأوبأ . وان لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما . أرهقته من نوائبها غُمَماً . ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن . الا أصبح منها فى قوادم خوف . غرارة غرور ما فيها . فانية فان من عليها . لا خير فى شيء من زادها الا التقوى . من أقل منها .

---

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ٢٢٢ . ولابن عبدالحكم ص ٤١ و ١٣٦ .

(٢) سورة الكهف آية ٤٥ .

استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه . كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته ، وكم من مختال بها قد خدعته ، وكم ذى أُبَّهَةٍ قد صيرته حقيراً ، وذى نخوة قد ردته ذليلاً . وذى تاج قد كبته لليدين والفم . سلطانها دول ، وعيشتها رنق ، وعذبها أجاج . وحلوها مُرٌ ، وغذاؤها سمام وأسبابها زحام . وقطافها سلع حيّها بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام ، مليكها مسلوب . وعزيزها مغلوب . وضعيفها وسليمها منكوب ، وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الحكم العدل :

﴿لِيجزِىَ الذين أساءوا بما عملوا وَيَجْزِىَ الذين أحسنوا بالحسنى﴾ (١)

ألستم فى مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعمارا ، وأوضح منكم آثارا ، وأعد عديداً ، وأكنف جنوداً ، واعتد عتاداً ، وأطول عماداً ، تعبدوا أىّ تعبد ، وآثروها أى ايثار ، وظعنوا عنها بالكرة والصغار . فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية . وأغنت عنهم مما قد أملتهم به ، بل أرهقتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفرتهم بالمناخر . وأعانت عليهم ريب المنون ، وقد رأيتم تنكرها إن دان لها وآثرها وأخلد إليها ، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد . إلى آخر الأمد ، هل زودتهم الا الشقاء ، واحلتهم الا الضنك . أو نورت لهم الا الظلمة . واعتبتهم الا الندامة . أفهذه

---

(١) سورة والنجم آية ٣١ .

تؤثرون . أو على هذه تحرصون . أو إليها تطمئنون . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . نوف إليهم أعمالهم فيها . وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار . وحبط ما صنعوا فيها . وباطل ما كانوا يعملون﴾ [١]

فبئست الدار لمن لم يتهمها . ولم يكن فيها على وجل منها . فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بد . فانها هى كما نعت الله عز وجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد . فاتعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية . وبالذين قالوا من أشد مناقوه . واتعظوا بمن رأيتم من اخوانكم . . كيف حملوا إلى قبورهم . فلا يدعون ركبانا . وأنزلوا . فلا يدعون ضيفانا . وجعل لهم من الضريح أكنان . ومن التراب أكفان . ومن الرفات جيران . فهم جيرة لا يجيبون داعيا . ولا يمنعون ضيما . يزارون ولا يستزارون . حلماء قد ذهبت أضغانهم . وجهلاء قد ماتت أحقادهم . لا يخشى فجعهم . ولا يرجى دمعهم . وهم كمن لم يكن . قال الله تعالى :

﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا . وكنا نحن الوارثين﴾ [٢]

استبدلوا بظهر الأرض بطناً . وبالسعة ضيقاً . وبالآل غربة . وبالنور ظلمة . فجاءوها حفاة عراة فرادى . وظعنوا بأعمالهم إلى

---

(١) سورة هود آية ١٥ و ١٦ .
(٢) سورة القصص آية ٥٨ .

الحياة الدائمة إلى خلود الأبد . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا انا كنا فاعلين﴾ [١] .

فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ، ورزقنا واياكم أداء حقه [٢] .

خطبة للحسن البصرى :

أيها الناس ، إن لله عبادا قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأنفسهم عفيفة . وحوائجهم خفيفة ، صبروا الأيام القلائل ، لما رجوه فى الدهور الأطاول . أما الليل فقائمون على أقدامهم ، يتضرعون إلى ربهم ، ويسعون فى فكاك رقابهم ، تجىء من الخشية دموعهم ، وتخفق من الخوف قلوبهم وأما النهار فحلماء أتقياء اخفياء ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تخالفهم من الخشية مرضى ، وما بهم من مرض ، ولكنهم خصصوا بذكر النار وأهوالها لَهُمْ ــ والله ــ كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم . وكانوا أبصر بقلوبهم لدينهم ، منكم لدنياكم بأبصاركم ، ولهم كانوا لحسناتهم أن تَرَدّ عليهم أخوف منكم أن تعذبوا على سيئاتكم :

﴿أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ [٣]

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤ .
(٢) جمهرة خطب العرب ج ٢ .
(٣) سورة المجادلة آية ٢٢ والخطبة من جمهرة خطب العرب ج ٢ .

خطبة محمد بن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس :

الحمد لله ، أحمده واستعينه وأستغفرة ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين ولو كره المشركون ، من يطع الله ورسوله ، فقد اعتصم بالعروة الوثقى ، وسعد فى الأولى والآخرة ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا ، وخسر خسراناً مبينا ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويتّبع رضوانه ، ويتجنب سخطه ، فإنما نحن له وبه . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فان تقوى الله أفضل ما تحاثّ الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصلوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، ولا تموتنّ الا وأنتم مسلمون[1] .

خطبة للمهدى :

الحمد لله الذى ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمده على آلائه وأمجّده لبلائه ، واستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكّل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيّه المجتبى ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٥ .

أميّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرناؤُهم فاستشعروا الرّدى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ،

﴿لِيَهْلِكَ من هلك عن بيّنة ، ويحيا من حيّ عن بينة ، وانّ الله لسميع عليم﴾(١)

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فان الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحثّكم على اجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاء إلى ما يقرّب رحمته ، وينجى من سخطه ، وينال به ما لديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدى الجبّار ، وتعرضون فيه على النار ؛

﴿يوم لا تكلّم نفس الا بإِذْنِهِ فمنهم شقيّ وسعيد﴾(٢) **﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**(٣)

﴿يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها عدل ، ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾(٤)

﴿يوم لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، انّ وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدّنيا ، ولا يغرّنّكم

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٢ .
(٢) سورة هود آية ١٠٥ .
(٣) سورة عبس آية ٢٤ وما بعدها .
(٤) سورة البقرة آية ١٢٣ .

بالله الغرور﴾[1]

فان الدنيا دار غرور ، وشرور ، واضمحلال وزوال وتقلّب وانتقال ، قد أفنت من كان قبلكم ، وهى عائدة عليكم وعلى من بعدكم ، من ركن إليها صرعته ، ومن وثق بها خانته ، ومن أملها كذبته ، ومن رجاها خذلته ، عزّها ذل ، وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقى فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حظّه من دار آخرته بها ، فالله الله عباد الله ، والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ، وبادروا بالأعمال الزكية ، فى هذه الأيام الخالية ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، وتندموا فلا تنالون الندم ، فى يوم حسرة وتأسف ، وكآبة وتلهّف ، يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلّكم ترحمون﴾[2]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ ـ إلى آخر السورة ـ أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لى ولكم[3]

خطبة هرون الرشيد :

(الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه ، مفوّضين إليه ،

---

(١) سورة لقمان آية ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

(٣) العقد الفريد ٢ : ١٤٦ .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على فترة من الرسل ، ودروس من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بشيراً بالنعيم المقيم ونذيراً بين يدى عذاب أليم ، فبلّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله ، فأدّى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبى من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فان فى التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ، وأحذّركم يوماً تشخص فيه الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التغابن ، ويوم التّلاق ، ويوم التّناد ، يوم لا يستعتب من سيئة ، ولا يزداد من حسنة ؛

﴿يوم الآزفة ، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور﴾ (١)

﴿واتّقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (٢)

عباد الله : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، حصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء فى الخبر أن النبى ﷺ قال : **(لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له)** . إنكم سفر مجتازون ، وأنتم

---

(١) سورة غافر آيتا ١٨ و ١٩ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٨١ .

عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى . وإلى الهدى بالأمانة ، فان الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين . ومغفرته للتائبين . وهداه للمنيبين . قال الله عز وجل وقوله الحق :

﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء ، فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزكاة﴾[1] .

وقال : **﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى﴾**[2]

وإياكم والأمانّي ، فقد غرّت وأردت ، وأوبقت كثيراً ، حتى أكذبتهم مناياهم ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون . فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرّف الآيات . وضرب الأمثال فرغّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد . وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالى جيلاً فجيلا ، وعهدتم الآباء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت اياهم من بيوتكم . ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فاسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،

﴿لِيَجْزِيَ الّذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الّذين أحسنوا بالحسنى﴾[3] .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله عز

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٦ .
(٢) سورة طه آية ٨٢ .
(٣) سورة والنجم آية ٣١ .

وجل : **﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾**

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، **﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾**

آمركم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، واستغفر الله لى ولكم .(١)

خطبة للمأمون بن الرشيد :

ولما أقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

(أيها الناس : إنى جعلت لله على نفسى ، ان استرعانى أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا اسفك دما عمدا لا تحلّه حدود ، وتسفكه فرائضه ، ولّا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاثا ، ولا نحلة تحرم علّى ، ولا أحكم بهواى ، فى غضبى ولا رضاى ، الا ما كان فى الله وله ، جعلت كلّه لله عهداً مؤكّداً ، وميثاقا مشدّداً ، إنى لفى رغبة فى زيادته أياى فى نعمتى ، ورهبة من مسألته اياى عن حقه وخلقه ، فان غيّرت أو بدلت كنت للغير مستأهلاً ، وللنّكال معرّضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه فى المعونة على طاعته ، وأن يحول بينى وبين معصيته) .

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٧ .

خطبة له فى يوم الجمعة :

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه . ومستوجبه على خلقه . أحمده واستعينه . وأومن به . وأتوكل عليه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده . والعمل لما عنده والتنجّز لوعده . والخوف لوعيده . فانه لا يسلم الا من اتقاه ورجاه . وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، وترحّلوا فقد جدّ بكم . واستعدّوا للموت فقد أظلّكم ، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فان الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار الا الموت أن ينزل به ، وان غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة . وان غائباً يحدوه الجديدان : الليل والنهار لحرىّ بسرعة الأوبة ، وان قادما يحلّ بالفوز أو بالشّقوة لمستحق لأفضل العدّة ، فاتّقى عبد ربّه ، ونصح نفسه ، وقدّم توبته . وغلب شهوته ، فان أجله مستور عنه ، وأمله خادع له والشيطان موكّل به ، يزين له المعصية ليركبها ، ويمنّيه التوبة ليسوّفها . حتى تهجم عليه منية أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على ذى غفلة . أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤديه أيامه إلى شقوة . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصّر

به عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت فزعة . إنه سميع الدعاء ، وبيده الخير ، وإنه فعّال لما يريد)[1]

خطبته يوم الأضحى :

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظّم حرمته ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من النّفر . يوم حرام ، من أيام عظام ، فى شهر حرام ، يوم الحج الأكبر . يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز :

﴿وأذّن فى النّاس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير ، ثمّ ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطّوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه . وأحلّت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾[2]

فتقرّبوا إلى الله فى هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله . واجعلوها من طيّب أموالكم ، وبصحّة التقوى من قلوبكم . فانه

---

(١) عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ .
(٢) سورة الحج آيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

يقول : «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم»[1] ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى . ثم بعد ذكر الجنة والنار ، عظم قدر الدارين . وارتفع جزاء العملين ، وطالت مدة الفريقين . الله الله ، فوالله انه الجدّ لا اللّعب ، وانه الحقّ لا الكذب ، وما هو الا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط . ثم العقاب والثواب . فمن نجا يومئذ فقد فاز . ومن هوى يومئذ فقد خاب الخير كلّه فى الجنة . والشر كله فى النار»[2] .

خطبته يوم الفطـــر :

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وسنّة وابتهال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حجّ بيته الحرام . خاتمة الشهر ، وأوّل أيام شهور الحج ، وجعله كعقّبا لمفروض صومكم ، ومتنفّل قيامكم ، أحلّ فيه الطعام لكم . وحرّم فيه الصيام عليكم ، فاطلبوا إلى الله حَزَائجكم . واستغفروه لتفريطكم ، فانه يقال : «لا كبير مع استغفار . ولا صغير مع إصرار» ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام . والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا عباد الله . وبادروا الأمر الذى اعتدل فيه يقينكم ، ولم يحتضر الشكّ فيه أحداً منكم . وهو الموت المكتوب عليكم ، فانه لا تستقال بعده الا فوقه . ولا

---

(١) سورة الحج آية ٣٧ .

(٢) عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ولعقد الفريد ٢ : ١٤٨ .

يعين على جزعه وعلزه وكربه . ولا يعين على القبر وظلمته ، وضيقه ووحشته . وهول مطلعه ومسألة ملائكته ، إلا العمل الصالح الذى أمر الله به ، فمن زلّت عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته وفاتته استقالته ، ودعا من الرّجعة إلى ما لا يجاب إليه ، وبذلك من الفدية ما لا يقبل منه ، فالله الله عباد الله . وكونوا قوماً سألوا الرّجعة فأعطوها وإذ منعها الذين طلبوها ، فانه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم الا هذا المهل المبسوط لكم ، واحذروا ما حذّركم الله . واتقوا اليوم الذى يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبدٌ ما يضع فى ميزانه مما يثقل به . وما يملّ فى صحيفته الحافظة لما عليه وله ، فقد حكى الله لكم ما قال المفرّطون عندها ، إذ طال أعراضهم عنها ، قال : **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا ، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحدا﴾**[1] ، وقال : **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**[2] . ولست أنهاكم عن الدنيا بأعظم مما نهتكم الدنيا عن نفسها ، فانّ كل ما بها ينهى عنها . وكل ما فيها يدعو إلى غيرها . وأعظم مما رأته أعينكم من عجائبها ذم كتاب الله لها ، ونهى الله عنها ، فانه يقول : **﴿فلا تغرنكم**

---

(١) سورة الكهف آية ٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٤٧ .

الحياة الدّنيا ، ولا يغرنّكم بالله الغرور﴾[1] ، وقال : **﴿إنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو...﴾** الآية[2] . فانتفعوا بمعرفتكم بها ، وباخبار الله عنها ، واعلموا أن قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها»[3]

خطبة لسان الدين بن الخطيب فى الحضّ على الجهاد :

«أيها الناس ـ رحمكم الله تعالى ـ :

اخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدوّ ـ قصمه الله تعالى ـ ساحتهم ورام الكفر ـ خذله الله تعالى ـ استباحتهم . وزحفت أحزاب الطّواغيت إليهم ، ومدّ الصّليب ذراعيه عليهم . وأيديكم ـ بعزّة الله تعالى ـ أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه . وسبيل الرّشد قد وضح فلتبصروه ، الجهاد فقد تعيّن . الجار الجار فقد قرّر الشّرع حقّه وبيّن ، الله الله فى الاسلام ، الله الله فى أُمة محمد عليه الصلاة والسلام ، الله الله فى المساجد المعمورة بذكر الله . الله الله فى الوطن ، الجهاد فى سبيل الله ، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكّد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ، أعينوا اخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد .

---

(١) سورة فاطر آية ٥ .
(٢) سورة الحديد آية ٢٠ .
(٣) عيون الأخبار ج ٢ : ص ٢٥٥ . والعقد الفريد ج ٢ ص ١٤٨ .

جدّدوا عوائد الخير . يصل الله تعالى لكم جميل العوائد . صلوا رحم الكلمة . واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة . كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تناديكم ، وسنة رسول الله ﷺ قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾[1] ومما صحّ عنه قوله : «من أغبّرت قدماه فى سبيل الله حرّمها الله على النار» . «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم» ، «من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا» ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الاسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده ، جاهدوا فى الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم ... وطريق هذا العذر غير ممهّد
إن قال : لِمْ فرطتموا فى أمّتى ... وتركتموهم للعدوّ المعتدى ؟
تالله لو أن العقوبة لم تخف ... لكفى الحيا من وجه ذاك السّيد

اللهم أعطف علينا قلوب العباد . اللهم بثّ لنا الحميّة فى البلاد . اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد . اللهم انصرنا على أعدائك ، باحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً . وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً[2] .

---

(١) سورة الصف ١٠ .
(٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٣ .

خطبة للامام المراغى بالجامع الأزهر الشريف :

فى يوم ١١ شوال سنة ١٣٥٥ ـ موضوعها : استخلاف الانسان فى الأرض ، وشروط الاستخلاف :

أحمدك اللهم حمد من أخلص النيّة لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك ، وابتغاء رضوانك العميم . واشهد أن لا إله الا الله ، تفرّد بالعزة والسلطان ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله . بعثه الله رحمة للانسان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الاطهار . وصحبه الطيبين الأخيار .

قال الله تعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[1]

هذا وعد الله الصادق ، ولن يخلف الله وعده .

أمور ثلاثة أيها المؤمنون هى أسمى ما يتصوره الانسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الايمان :

١ ـ استخلاف العاملين فى الأرض .

٢ ـ وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم .

٣ ـ وتبديلهم بعد الخوف أمناً وطمأنينة .

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

والاستخلاف فى الأرض خلافة عن الله فى عمارة الكون ـ وتوزيع العدل والاحسان بين عباده ـ وهو يعتمد على القوّة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ـ وهو مطلب تتفانى الأمم فى سبيله ، وتضحّى بأبنائها وأموالها ابتغاء الوصول إليه ـ وما استقامت عقيدة ولا استقرّ سلطان . ولا وجد مجد سؤدد ، ولا شعرت أمّة بالعزّة الا إذا حمتها القوّة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة . وشواهد الماضى حاضرة فى الذهن ماثلة .

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع ، يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر ، والشعور بالعزّة والكرامة ، ليس أشهى إلى النفس ، ولا أمتع للقلب ، ولا أهنأ للرّوح ، من أن يرى الانسان أنّ عقيدته صاحبة السلطان والنفوذ فى نفوس النّاس أجمعين . والأمن من بعد الخوف أعزّ مطلب للفرّد والجماعة . وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير . وتجعل العيش مريراً . والحياة مضطربة . وما أحلى الأمن يستقرّ بعد الفرق . وما أعذبه يتدفّق بعد القلق ، عندئذ يندفع الانسان نحو العمل صافى القلب متجهاً إلى الله ملتمساً الخير والنفع للعباد .

وليس الايمان أيها المؤمنون تصوّرات تتخيّلها العقول وتجرى عباراتها على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها .

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون﴾

ومن آثار العقيدة الدّفاع عنها بالنفس والاستهانة فى سبيل نشرها بالمال . ومن آثارها العمل الصالح .

وليس العمل الصالح مجرّد صلاة تؤدى بالحركات ، أو صيام فيؤدى بالحرمان من اللّذات ، أو ذكر يجرى على اللسان ألفاظا ميتة خالية من الخشية والرهبة .

إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الاسعاد : من اخلاص ، ومحبة لخير الفرد والجماعة ، وأداء للحقوق كاملة لله ولعباد الله ،

﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة﴾ [1] .

إنّ أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق : من الوفاء بالعهد ، والصّدق فى القول ، والشجاعة فى الحقّ ، والصبر على احتمال المكاره . والعدل مع الأفراد ، بأداء حقوقهم ، وحبّ السعادة لهم ، وارشادهم إلى الخير ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصّالح اطاعة الفرد لما تفرضه الجماعة ، وما يفرضه الحاكم . ممّا ليس فيه معصية للخالق ، ومن العمل الصّالح للحاكم توفيره الخير للرّعيّة ، والدّأب والسهر على مصالحها وحياطتها من الانزلاق فى الشّرور والتهاون فى الدين وإنّ قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه ، العدل ، وهو مطلوب من الحكام . ومطلوب من الرعية ، والعدل هو اتباع السّنن الالهية ، والأوامر الدّينيّة ، والنّواميس الوضعية التى لا تتنافى والدّين .

إن الأمة الصالحة التى تستحق الخلافة أيها المؤمنون كما يجب أن

---

(١) سورة البينة آية ٥ .

تقوم على العدل يجب أيضاً أن تؤدى للأرض حقّها من عمران . وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع لتحقّق الارادة الالهية من خلق تلك القوى وتسخيرها لمنفعة الانسان ؛

﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السّماء ماء فأخرج به من الثّمرات رزقاً لكم ، وسخّر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره . وسخّر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشّمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1]

عباد الله : لا تسعد أمة تتفرّق أهواؤها وتصبح شيعاً وأحزابا . رائدها الهوى وقائدها المصالح الخاصّة ، لا تسعد أمّة لا تعتصم بحبل الله المتين . ولا تعتبر بسير الذاهبين الأولين ، لا تسعد أمة تحتكم إلى الشّهوات ، وتتعامى عن الآيات ، وتدع النّذر ، وتعمى عن العبر ، لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حبّاً فى الاستمتاع بالشّهوات ، وما فى الحياة من لذّات ، لا تسعد أمّة ينغمس أمراؤها وأغنياؤها فى التّرف ، ويستعذبون الرّاحة ، ويأنفون العمل ،

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا﴾[2]

أيها المؤمنون ، نحن البشر بنى الانسان بين أمرين ..

إما أن نستضىء بنور العقل ونهتدى بهدى الشّرع فنصير فى

---

(١) سورة إبراهيم آيات ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ .
(٢) سورة الاسراء آية ١٦ .

الدنيا إلى عزة نعلو بها فى أجواز الفضاء، ونخترق بها أطباق الأرض، ثمّ فى الآخرة إلى جنّة عرضها السّموات والأرض. إلى مغفرة الله ورضوانه.

وأما أن نعمى عن هدى الله، ونغمض عمّا حلّ بالأمم السّابقة أعيننا. ونغلى مراجل الشّهوات فيما بيننا، فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا، فنصير فى الدنيا إلى ذلة وضعة، ثم فى الآخرة إلى نار وقودها الناس والحجارة، إلى خزى من الله وخذلان:

﴿من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. ثم جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحورا، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ [1]

وقانا الله عذاب النّار وسوء المصير: وقادنا إلى الخير وحسن العاقبة. وهدانا إلى ما يرضيه ويقرّ بنا من عفوه ورحمته. روى البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه الّا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النّار**» [2]

خطبة أخرى للامام المراغى: يوم ١٢ ذى القعدة ١٣٥٦:

الحمد لله العلىّ القادر، العزيز القاهر، الحكيم الذى لا يضلّ، الخبير الذى لا ينسى، سبحانه هو الكبير المتعال.

---

(١) سورة الاسراء آيتا ١٨ و ١٩.

(٢) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٢٩٧.

نحمده حمداً به نستأهل غفرانه ، ونستمنح عطفه ورضوانه ، ونشهد أن لا اله الا الله توحّد بالرّبوبية المطلقة ، وتفرّد بالجلال والعزّة ، وبرأ الخلق بقدرته ، وأمدّهم باحسانه ورعايته ، ونصلّى أفضل الصّلوات وأتمها على أفضل الخلق وأكملهم ، من ختم الرسالة وأدّى الأمانة ، وجاهد فى الله حقّ جهاده ، وكان أفضل قدوة لعباده سيدنا ومولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين حملوا من بعده علم الهداية ، فدانت لهم الأمم ، وخضعت لسلطانهم الرّقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيماً .

أمّا بعد فيقول الله تعالى :

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (١)

ويقول الله تعالى :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٢)

على هذا الأساس شبّ الاسلام عزيزاً لا يعرف الذّلّ ، كريماً لا يقبل الضّيم ، وحمله كرام بررة رفعوا لواء عزّه وشيدوا ضروح مجده ، وطوّفوا به فى الآفاق نافذ السّلطان ، رفيع المكان .

ثمّ خلف من بعدهم خلف فتنوا بعرض الحياة الأدنى واتّبعوا الشّهوات وضلّوا السّبيل ، حسبوا الأمر مغانم تقسم ، واسلابا

---

(١) سورة المائدة آيتا ١٥ و ١٦ .
(٢) سورة النحل آية ٩٧ .

توّزع . ودنيا مملوءة باللّذات فيها دعة وسكون ، وترف ومجون وطال عليهم الأمد فى ذلك فقست قلوبهم ، وصرفتهم الأهواء عن الهدى الالهى . فساءت حالهم ، وصبروا على الذّلّ واطمأنّوا إليه . تحلّلوا من أصول الاسلام وفضائله ، وسوّل لهم الشيطان أن الصّلاة والصّوم والعقائد وما شرع الله من أحكام تهذب النّفوس وقوانين تنظّم الحياة وتسعدها ، ليست إلّا بقية من قرون خلت ، لا يليق أن يتمسك بها الرّجل المتدين الذى عرف معنى الحياة وما فيها من لذّة ومتعة .

سوّل لهم الشيطان أن التّديّن عَارٌ ، وأنّ الخمر والميسر والاسترسال فى الشّهوات والانغماس فى الاباحيّة نوع من الحريّة . وخاصّة من خواصّ المدنيّة .

سوّل لهم أنّ التديّن عار فتركوا دينهم ، ونبذوا كتابهم وانصرفوا عن العمل الصّالح والخلق الفاضل فصاروا نهبا للأمم ومثلاً للذّلّة . وتوالت عليهم النّذر فلم يتدبّروا . وتتابعت أمامهم العبر فلم يعتبروا فحقّت عليهم الكلمة ، وأُذِيقُوا لباس الجوع والخوف ، وسلّط عليهم من لا يخاف الله فيهم :

﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (١)

بهذا أصبح الاسلام فى ناحية والمسلمون فى ناحية ، وبينهما

---

(١) سورة النحل آية ١١٢ .

فجوة بعيدة الأطراف .

تركوا دينهم واستباحوا الشهوات ومهّدوا لمن لا يعرفون الأديان إلّا من حالة أهلها أن يقولوا : «إنّ الاسلام دين لا يعرف العزّة والكرامة ، ولا يميّز بين الفضيلة والرّذيلة ، فهو دين يبيح الميسر والبغاء والخمر ، ولأهله فى ذلك قوانين تنظمها ، وجرائد ومجلات تعلن عنها . دين يبيح الكذب والزّور والرّشوة والفجور ، والفوضى فى النّظام ، والجور فى الأحكام . دين فى الكيد والنفاق . وأساليب التّفريق والشّقاق . والبغى والعناد ، والاثم والالحاد» .

بهذا ونحوه من الآثام والرّذائل التى صارت بين المسلمين معروفة مألوفة ــ وهى عند العقلاء وفى دين الاسلام منكرة ممقوتة ــ يُصَوَّرُ الاسلام أخذاً من حالة جمهور يدين بالاسلام ، وحكومة دينها بنص دستورها الاسلام . أليس هذا أيها المسلمون جناية من المسلمين على الاسلام ؟ أليس هذا تناقضاً لا يجمل بالعقلاء أن يصبروا عليه ؟ ولا يحسن بأمة تريد الحياة مرفوعة الرأس أن تسكن إليه ؟

﴿إن هى إلّا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [1]

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ [2]

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٢) سورة الحديد آية ١٦ .

أيها المسلمون ، اسمعوا فى دينكم قول الله الحق وقول رسوله الكريم . يقول الله تعالى :

﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾ [١]

ويقول :

﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدودا﴾ [٢]

يقرّر القرآن نفى الايمان عمّن لم يرض بأحكام الله ، رضا يزيل الحرج عن صدره ، ويملأ قلبه استسلاماً وطمأنينة . ويصف بالنفاق من يصدّ الدّاعى إلى الله ورسول الله . ويقول فى آية أخرى :

﴿قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطّيبات من الرّزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة * كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون * قل إنّما حرّم ربّى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [٣] .

إنّ الدين أيها المسلمون مهما امتدّت آفاقه ، وتأوّل فيه المتأوّلون ، فهو لا يحتمل هذه البوائق ، ولا هذا الالحاد ، ولا هذه الاباحية الجامحة ، ولا هذه الشهوات التى لا تقف عند حدّ .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .
(٢) سورة النساء آية ٦١ .
(٣) سورة الأعراف آيتا ٣٢ و ٣٣ .

وإنما يحتمل مدنيّة فاضلة تقوم على علم كامل ، وعمل صالح ، وخلق فاضل كريم . يحتمل التمتّع بزينة الله وما هيّأ لعباده من طيبات :

﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾ (١)

هذا هو الاسلام أيّها المؤمنون ، فسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وأنقذوا النّاس من أسباب الدّمار والتهلكة . واعلموا أن الله أهلك الأمم الغابرة لأقل من هذه الشّرور والآثام .

خُطُّوا للفضيلة طريقاً واضحاً ، وضعوا لها نهجاً مستقيماً . وقوموا على حراسته كما أمر الله بالعدل وقوّة السّلطان **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾** (٢) **﴿وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين﴾** (٣)

أيها المسلمون إنّ الله وضع قواعد الحكم الصّالح فى هذه الآيات البيّنة الواضحة :

﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون والله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .
(٢) سورة محمد ﷺ آية ٧ .
(٣) سورة الروم آية ٤٧ .
(٤) سورة النساء آية ٥٩ .

والأمانة كل ما تجب المحافظة عليه . فالسرّ أمانة ، والتّكاليف الشّرعيّة أمانة ، وعلم العالم أمانة ، وقول الحقّ فى الشّهادة وغيرها أمانة . والأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر أمانة . والعدل فى الأحكام والأفعال والأقوال أمانة .

كتاب الله قانون ، وسنّة رسوله قانون ، وما اتفق عليه أهل الحلّ والعقد من المسلمين ممّا لا يخالف نصّا فى الكتاب ولا فى السّنة قانون ، والرّد عند التّنازع إلى قواعد الدّين العامّة وأحكامه الكلّية قانون ، وكل هذه القوانين أمانة استودعكم الله إيّاها ، واستحفظكم عليها ، وأنزل عليكم فى محكم كتابه : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**[1] .

أيها المسلمون ، اسمعوا أدب نبيّكم الكريم لأصحابه وأمّته «شرّ ما فى الرّجل شحّ هالع وجبن خالع» ، ـ الهالع : المحزن ، والخالع الذى يخلع القلب من الخوف ـ

ويقول ﷺ : **(لن تزول قدم شاهد الزّور حتّى يوجب الله له النار ومن كتم شهادة دعى إليها كان كمن شهد الزّور ، الدّين النّصيحة** ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا** « ـ يشير إلى صدره ـ » **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)** .

من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنه الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً حتّى يدخله النّار .

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٧ .

اتقوا الظلم فإنّهُ ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشّح فَإنَّهُ أهلك من قبلكم : حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلّوا محارمهم . وإيّاكم والخيانة فانها بئست البطانة .

من التمس رضا الله بسخط النّاس كفاه الله مؤونة النّاس . ومن التمس رضا النّاس بسخط الله وكله الله إلى النّاس .

اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب . وفقني الله واياكم إلى التمسّك بدينه والعمل على مرضاته والتخلّق بأخلاق نبيّه الكريم[1] .

خطبة للشيخ على محفوظ الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر أهملنا ديننا فساءت حالنا :

الحمد لله كتب العزة والكرامة لمن أطاعه ، وقضى بالذلة والهوان على من عصاه وهو العزيز الحكيم ، وأشهد ألا إله إلا الله أنعم علينا بالكتاب المبين والرسول الصادق الأمين .. **«لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين»**[2] فهذب بالكتاب أخلاقنا ، وأصلح به أعمالنا ، وهدانا إلى وسائل الرقى والسعادة فى هذه الحياة وفى تلك الحياة ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين . والداعى إلى الصراط المستقيم . اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه الذين

---

(١) من هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٤٠٠ وما بعدها ..
(٢) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

تأدبوا بآداب الدين . ووقفوا عند حدوده فخضعت لهم رقاب الجبابرة . واسقطوا عروض الأكاسرة . وكانوا هم السادة الفائزين المنصورين . أما بعد : فقد قال الله تعالى :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (١)

أيها الناس : لقد كانت الأمة الاسلامية فيما مضى متمسكة بكتاب الله . عاملة بسنة نبيها . صحيحة فى عقائدها . صالحة فى أعمالها . حسنة فى معاملاتها وعاداتها . كريمة فى أخلاقها . بصيرة فى دينها . راقية فى آدابها وعلومها . فكانت عزيزة الجانب قوية الشوكة . جليلة عظيمة مهيبة . صاحبة السلطان والصولة على من عداها . واليوم تغير أمرها . وتبدل حالها . اختلت عقائدها . فسدت أعمالها . ساءت معاملاتها وعاداتها . تدهورت أخلاقها . جهلت أمر دينها ودنياها . تأخرت فى علومها وصنائعها . فصارت ذليلة الجانب . ضعيفة الشوكة . ساقطة الكرامة فاقدة الهيبة . مغلوبة على أمرها . متأخرة فى مرافق حياتها . تتخبط فى ظلمات الجهل . وتنقاد للخرافات والأوهام .

﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٢)

وما ذلك الا لأنها خالفت كتابها . وانحرفت عن طريق الهادى نبيها . وسارت وراء هواها . وفتنت بزخارف الحضارة المزيفة . والمدنية الكاذبة . وظنت الاباحية حرية . والخلاعة رقياً . فتعدّت حدود العقل والدين . وأغضبت خالق الأرض والسماء . فساءت

(١) سورة الرعد آية ١١ .
(٢) سورة الروم آية ٩ .

حالها . وسلط عليها عدوها .

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[1]

أيها الناس : لقد ذاقت الأمة وبال أمرها . وعوقبت بشر أعمالها . وتجرعت مرارة الذلة والهوان . والتفرق والانحلال . كل ذلك نتيجة لازمة لعدم استقامتنا وانحرافنا عن الصراط المستقيم **﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور﴾**[2]

كل ذلك نازل بنا وواقع علينا ونحن لا نفيق من سكرتنا ، ولا ننتبه من غفلتنا . ولا ننزجر بالمحن والبلايا . ولا نعتبر بحوادث الأيام . لوكان لنا نفوس حيّة وقلوب يقظة ، لوكان لنا شعور حى واحساس قوى ، لنبهتنا البلايا . وأيقظتنا المؤلمات ، أيها المسلم : الدين عقيدة صحيحة ، وعبادات قويمة ، ومعاملات حسنة عادلة ، وأخلاق كريمة . فهل أنت صحيح العقيدة ، قويم العبادة ، حسن المعاملة ، كريم الأخلاق ؟ هل أنت سائر فى كل أعمالك وأحوالك فى طريق الدين ؟ أم أنت تسير منحرفاً عن الطريق القويم ؟ هل ما نحن عليه اليوم من سوء المعاملة وتهتّك النساء وفساد الأخلاق من تعاليم الدين ؟ هل من الدين أن يكون المرء كاذباً محتالاً ، أو مرئياً مختالاً ، أو مداهنا منافقاً ؟ هل من الدين أن يكون المرء نماماً أو مغتاباً ؟ أو لعّاناً أو سبابا ، أو غاشا أو خائناً ؟ هل من

---

(١) سورة النور آية ٦٣ .

(٢) سورة الشورى آية ٥٣ .

الدين أن يكون المرء ناقضاً للعهد ، مخلفاً للوعد ، متكبراً جبارا عنيداً ، مماطلاً فى حقوق الناس ؟ هل من الدين أن يكون مهملاً لأولاده ، عاقاً لوالديه ، قاطعاً للرحم ، مسيئاً لزوجه مؤذياً لجيرانه ؟ هل من الدين أن يكون قاسى القلب : لا يرحم مسكيناً ، ولا يكرم يتيماً ، ولا يعطف على ذى عاهة أو أرملة ؟ كلا ! أين هذا من قوله تعالى :

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا﴾ [1] الآية .

كلا ، أين هذا من قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) أيها الناس : ما هذا الفساد فى أمة شعارها الاسلام ، وأساس دينها القرآن ؟ ما هذا التدهور الخلقى فى أمة رسولها سيد ولد عدنان ؟ أتحكمت الشهوات فى النفوس فأفسدتها ؟ أم تسلطت الأهواء على العقول فنبذت الفضيلة واعتنقت الرذيلة ؟

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [2]

أرأيتم أن دينكم لا ينهض بكم إلى مراتب الرقى والسعادة ، فاتبعتم ديناً غيره ينهض بكم ويسعدكم ؟ كلا والله ، لا رقى الا به ، ولا سعادة الا به ، ولا فلاح الا به ، ولا خلاص للناس من مخاطر الشقاء فى الدنيا والآخرة الآية :

﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من

---

(١) سورة النساء آية ٣٦ .
(٢) سورة محمد ﷺ آية ٢٤ .

الخاسرين ﴾[1]

قال صلوات الله وسلامه عليه : **(اتق المحارم تكن أعبد الناس . وارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، واحسن إلى جارك تكن مؤمناً . وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً)** رواه أبوداود ــ وشرح فى الخطبة الثانية قوله صلوات الله وسلامه عليه : (إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه ثم ختمها بقوله : أيها الناس لا خلاص للأمة من هذا الشقاء ، ولا نجاة لها من هذه البلايا الا باصلاح القلوب واستقامة الأعمال . وذلك بالرجوع إلى العمل بأوامر الدين واحياء سنة سيد الأنبياء والمرسلين ، قال صلوات الله وسلامه عليه : **(لقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى ، كتاب الله وسنة رسوله)**[2] .

خطبة للشيخ على محفوظ .

المحافظة على الصلوات والخشوع فيها :

الحمد لله الذى أنزل الشريعة هدى للناس ورحمة . وجعلها طريقاً واضحاً إلى سعادة الدارين . والشكر له تعالى هدانا للاسلام وفضلنا على جميع الأمم . وأشهد ألا إله الا الله أعزّ الطائعين . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أفضل المصلين ، وامام الخاشعين ، اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والحافظين لحدود الله (أما بعد) فقد قال الله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٢) من هداية المرشدين ص ٤٠٦ .

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾[1] .

عباد الله : إن الصلاة عماد الدين . وأعظم أركان الاسلام ، من حافظ عليها فهو السعيد الرابح ومن أضاعها فذلك الخاسر الشقى ، وان الخشوع فيها مع الاخلاص لله آية الايمان وسبيل الفلاح ، وأمان من وساوس الشيطان الرجيم ، فان العبد إذا اعتاد الوقوف بين يدى مولاه فى اليوم والليلة خمس مرات خاشعاً متواضعاً فارغ القلب من الشواغل ، متدبراً ما يتلوه من آيات الله . انغرست فى نفسه خشية مولاه فى جميع أعماله وحضرته هيبة خالقه فى عموم أحواله . فاذا سولت له نفسه أمراً ، أو زين له الشيطان سوءا تبرأ منها قائلاً : إنى أخاف الله رب العالمين . فكن فى صلاتك خاشعاً . وفى مناجاة ربك صادقاً فلا تقل الله أكبر وأنت تظن أن هناك من يساويه أو يدانيه فى عظمته ، لا تقل الحمد لله رب العالمين وأنت بالحلال لا تقنع . ومن الحرام لا تشبع ، لا تقل الرحمن الرحيم وأنت شديد البطش قاسى القلب على الضعفاء والمساكين . لا تقل مالك يوم الدين وأنت لا تذكر الوقوف بين يدى أحكم الحاكمين . لا تقل اياك نعبد وأنت تعبد هواك ودنياك ، لا تقل واياك نستعين وأنت تلتجئُ فى الشدائد إلى المخلوق وتترك باب مولاك . لا تقل أهدنا الصراط المستقيم وأنت منحرف عن طريق المهتدين ، لا تقل صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وأنت سيء الأخلاق حقود حسود ، نمام مغتاب ، غشاش كذاب

---

(١) سورة المؤمنون آية ١ .

واقع فيما يغضب الله والملائكة والناس أجمعين ، لا تقل ولا الضالين وأنت فاسد الاعتقاد شر فى الأعمال ، تُدَبِّر الأذى وتكيد لأخوانك المسلمين ـ يا هذا ـ إن من حافظ على الصلوات فى الأوقات ، وواظب على الجمعة والجماعات ، وأداها بخشوع وخضوع ، استنار قلبه ، وتهذبت نفسه ، وحسنت مع الله والناس معاملته ، وحيل بينه وبين المحرمات وكان على البؤساء عطوفاً ، وبالضعفاء رحيماً ، وأفلح فى دينه ودنياه ، وكان من المحبوبين لدى الله والناس أجمعين . النفس أمارة بالسوء ، والشيطان أيضاً يأمر بالفحشاء والمنكر ، ليضل المرء عن سواء السبيل ، ويقذف به فى مهاوى الشقاء والخسران ، والسيف القاطع ، والدواء النافع ، الذى جعله الله تعالى لوقاية الانسان من شر النفس والشيطان إنما هو الصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون) أيها الناس الله تعالى يقول :

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [1]

أولئك هم الذين خلت صلاتهم من التذلل والخضوع ، فتراهم يسرعون فى أدائها وهم عنها غافلون . لا يعرفون لها معنى ، ولا يعقلون لها سرا ، ولم تشعر قلوبهم بحلاوة الطاعة ، ولذة المناجاة . نعم لهم الويل ، ملكتهم الوساوسُ ، وامتلأت قلوبهم بشواغل الدنيا ، **﴿واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾** .

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له

---

(١) سورة الماعون آية ٤ .

قرين﴾[1] .

ومن الناس من عميت بصائرهم وتحجرت ضمائرهم . فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . واهملوا أوامر الله . وغفلوا عن واجب شكره . ولم يخافوا سطوة جبروته . ولا سوء الحساب . ولا نار العذاب . **﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾** . فيا أيها المسلمون اتقوا الله ربكم وحافظوا على صلواتكم . وقوموا لله خاضعين خاشعين لتفوزوا برضوان الله . وتكونوا من المفلحين الذين شملهم الله باحسانه . وغمرهم في بحار رحمته . **﴿أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾**[2]

في الحديث القدسي عن رب العزة ـ **(ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل . كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي)** . وروى أبوداود أن رسول الله ﷺ قال : **(إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني فترفع . وإذا أساء الرجل الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني . فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه)**[3]

---

(١) سورة الزخرف آية ٣٦
(٢) سورة مجادلة آية ٢٢
(٣) من هدية لمرشدين للشيخ على محفوظ .

خطبة للشيخ على محفوظ

مواساة البؤساء :

الحمد لله الذى أمر بالاحسان ونهى عن الامتنان ، الكريم الذى جازى الاحسان بالاحسان ، لا إله إلاّ هو أرحم الراحمين ، وأشهد ألا إله إلاّ الله ذو فضل على العالمين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المحسنين وملجأ البائسين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الرحماء المخلصين (أما بعد) فقد قال الله تعالى : **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** [1] .

أيها الأغنياء . إذا كان الله تعالى قد تفضل عليكم ورزقكم من الطيبات ، واغناكم عن الحاجة ، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال ، فقد وجب عليكم أن تشكروه تعالى على ما منحكم وأولاكم ، وأعزكم وأغناكم ، وبذلك يحفظ عليكم نعمتكم ويتفضل عليكم بالمزيد منها ، والبركة فيها **﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾** [2]

وليس الشكر قولاً باللسان ، وإنما الشكر امتثال أوامر الله بالطاعة والاحسان إلى البؤساء الذين أصابتهم شدة ، والفقراء المحتاجين من أرباب العيال . ومن القسوة أن تمنعوا المعونة ،

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٧ .

وتقبضوا أيديكم شحاً وبخلاً . (والشدائد) تميت البائسين . والضيق يقتل اخوانكم المحتاجين ، أمن الرحمة أن تكونوا فى رغد من العيش ، وسعة من الرزق ، ومن أخلى عليهم الزمان فى شدة من الضيق . وألم من الاعسار ؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بأصناف الغذاء وأخوكم المسلم يتألم من الجوع فى الصباح والمساء ؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بملابس الزينة وأخوكم فى الانسانية يحرقه الصيف ، ويقتله برد الشتاء ؟ اللهم إن الغنّى الذى لا يحس بأن عليه للبؤساء والفقراء حقوقاً وواجبات ، لقاسى القلب ، خال من الشفقة بعيد من رحمة الله (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ، أيها الناس : إن الله عزت قدرته ، وجلت حكمته ، قد وعد من أنفق شيئاً فى سبيل الله أن يخلفه عوضاً ، أما عاجلاً واما آجلاً . فقال جل شأنه :

﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين﴾[1] .

فليس البخل والامساك بعد هذا الوعد الكريم الا من ضعف الايمان . أو سوء الظن بالله الغنى الحميد إذا كان الله تعالى قد مدح الأنصار من الصحابة بأنهم كانوا يقدمون المهاجرين على أنفسهم فى كل شيء من أسباب المعاش . ولو كانوا هم فى أشد الحاجة ، حيث قال عز وجل :

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[2] .

فان لم تقدموا الغير على أنفسكم ، فاعطفوا على البائسين

---

(١) سورة سبأ آية ٣٩ .
(٢) سورة الحشر آية ٩ .

والمحتاجين ببعض ما يزيد عن حاجتكم . وإن هذا لهين على من عنده أدنى رأفة ورحمة منكم . إن هذا لهين يسير على من حفظه الله من رذيلة الشح :

﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1] .

أيها الناس : صنائع المعروف من علامة الايمان وعلو الهمة . وعنوان الشهامة والمروءة . وانها تقى صاحبها مصارع السوء . وتحفظه من المحن والبلايا . وتجلب رضا الله واحسانه . لا تكلفكم الانسانية من الاحسان الا اليسير ، ولا تطالبكم المروءة الا بالشيء القليل . فاصنعوا المعروف فى أهله ما استطعتم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وإن ما يضيعه الواحد منكم فى الكماليات لكثير . ولقد ينفق الغنى منكم فى جلسة قصيرة ما يكفى البائس الفقير زمناً طويلاً ، فأدخلوا السرور على المساكين بالبر والاحسان ، لعل الله يرحمنا ويكشف عنا ما نحن فيه من ضيق وشدة وذل وبلاء ، أسألوا عن المحتاجين فى بيوتهم ، وعن المصابين فى أماكنهم ادخلوا عليهم وهونوا عليهم الشدائد والآلام وخففوا عنهم ما هم فيه من الأسقام والأحزان . وتصوروا أنكم مثلهم فماذا كنتم تحبون أن يصنع بكم ، اتقوا الله واعطوهم من مال الله الذى أعطاكم وجعلكم نوابا عنه . ووكلاء فيه ، يعطكم أجراً عظيما . وثوابا جزيلا :

﴿آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين

---

(١) سورة الحشر آية ٩ .

آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير[1]

اعطوهم بعض ما يفضل عنكم . فبذلك تملكون قلوبهم . وتكسبون محبتهم ، وبذلك تتحد القلوب ، وتكون الألفة والاخاء : فتنصرون على أعدائكم . وتبلغون غايتكم . وتعيشون فى بلادكم آمنين مطمئنين ، ويعمكم الله برحمته ويشملكم باحسانه ﴿**وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾[2]

فى الحديث القدسى عن رب العزة يقول الله تبارك وتعالى : (**انفق يابن آدم ينفق عليك» متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ وروى مسلم عنه أيضاً عن النبى قال** : (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**) . وقال فى الخطبة الثانية : أيها الناس ـ فينا من لا يئن لمتألم . ولا يتوجع لمستصرخ ، ولا يحن لبائس فتجردوا من العاطفة الانسانية ، وحنان الاخاء الاسلامى ، وفقدوا الرابطة الدينية . وقد قال الله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾

وقال ﷺ : (**المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله**) **كله . وإذا اشتكى كله**) رواه مسلم . فينا من يقع أمامه من الحوادث ما يؤلم القلب ويدمى العيون ، فلا يتأثر ولا يلين . بل

---

(١) سورة الحديد آية ٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٢ .

تجده كالصخرة الصماء : كالحجارة أو أشدّ قسوة ... والذى نشاهده من أمثال هؤلاء قساة القلوب غلاظ الأكباد ، دليل واضح على انحطاط نفوسهم ، وخبث أرواحهم ، المال مال الله ، والفقراء عيال الله ، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله ، ومالك الحق وخالق الخلق قادر على أن ينزع عن الغنى لباس غناه ، ويعطى البائس الفقير كل ما يرضيه من متاع الحياة ﴿**قل اللهم مالك الملك** ...﴾الآية[1] ، فاللهم أصلح أحوالنا ، وهبنا قلوبا رحيمة ونفوساً عالية وأرواحاً طاهرة يا ودود يا رحمن .[1]

خطبة للشيخ على محفوظ

مضار شهادة الزور :

الحمد لله العليم الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، الشفيع البصير الذى يطلع على ما تكنه النفوس وتخفى الصدور : لا إله الا هو أعز الصادقين ، وأذل الكاذبين وأشهد ألا إله إلا الله أوجب الحق وحرم الكذب والضلال ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الداعى إلى الصدق والاخلاص فى الأقوال والأعمال : اللهم صل وسلم على على سيدنا محمد الهادى إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه القويم (أما بعد) فقد قال الله تعالى :

﴿**والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروراً كراما**﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦ والخطبة من هداية المرشدين ص ٤١٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٧٢ .

أيها الناس : إن الله عزت قدرته وجلت حكمته ، قد اختار لكم الاسلام ديناً ، ووعدكم سعادة الدنيا والآخرة إذا اعتصمتم بحبله المتين ، واهتديتم بنوره المبين ، قال تعالى :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾(١) .

أما أن أهملتم دينكم القويم ولم تسمعوا نصائحه الغالية ، وارشاداته الحكيمة ، واتبعتم أهواءكم ، ولم تراقبوا الله تعالى فى أقوالكم وأعمالكم ، ولم تخافوا شدة غضبه ، وأليم عذابه ، منع عنكم معونته ، واسلمكم الى من لا يرحمكم وخسرتم الدنيا والآخرة :

﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾(٢) .

وان الله تعالى جل شأنه قد حرّم فى هذا الدين قول الكذب وشهادة الزور ، وأمر باجتنابها والبعد عنها وقرنها بعبادة الأوثان ، لينبه الناس إلى فظاعة الزور وشدة قبحه . قال تعالى :

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به﴾(٣)

والرجس : النجس القذر . والأوثان : الأصنام التى كانت تعبد من دون الله سبحانه ، وعبادة الأصنام شرك . وقول الزور معه من أكبر الكبائر ـ أيها الناس : أيدرى شاهد الزور إلى من أساء ،

---

(٣) سورة النحل آية ٩٧ .
(٢) سورة فصّلت آية ٤٦ .
(٣) سورة الحج آيتا ٣٠ و ٣١ .

أساء إلى نفسه ، اسقط مروءته ، أضاع منزلته وكرامته ، وسجل على نفسه عاراً لايزول ، وخزياً لا يمحى ، وألقى بنفسه فى نار حرها شديد ، وعذابها أليم :

﴿ومن يهن الله فماله من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء﴾[1] .

وأساء ، إلى من شهد عليه ، أهانة وأضاع حقه . وقطع صلة الأخاء التى تجب بين المسلم والمسلم . وظلمه وخذله وخالف فيه قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : (**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) . وأساء إلى من شهد له وأضربه ، حيث يريد أن ينفعه . أعانه على الظلم ، وأوقعه فى الحرام ، وعرضه لمقت الله وغضبه ، وصيره ذليلاً بين يدى المنتقم الجبار ، الحكيم العادل ، الذى يأخذ من القوى للضعيف . وينصر المظلوم من ظالمه ، يوم يتعلق المظلومون بالظالمين ، يوم الفزع الأكبر والهول الأعظم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون :

﴿وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾[2]

وأساء إلى القاضى : أتعبه وأضاع عليه وقته ، وطمس عليه معالم الحق ، ولو صدقة لأراحه وأراح الناس أجمعين . بل أساء إلى الأمة كلها : لوث سمعتها ، وأضاع الثقة بها ، وكل أمة فشا فيها الزور والكذب سقطت من عيون الأمم ، وأصبحت فى عداد

---

(١) سورة الحج آية ١٨ .
(٢) سورة الحج آية ٢ .

الهالكين . أيها الناس : ما الذى يحمل شاهد الزور على هذا الوصف الذميم ، وذلك الموقف لمخجل المعيب إن كان مالا يأخذه ممن شهد له فهو سحت لا بركة فيه ، بل هو وبال عليه فى الدنيا . وعذاب له فى الآخرة ، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ـ وإن كان الحامل له على الزور صحبته للمشهود له أو طلب رضاه ، فبئست هذه الصحبة التى تؤدى إلى سقوطه وخسرانه ، وتوقعه فى سخط الله وغضبه . قالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس ، وشاهد الزور قد أرضى صاحبه وأغضب مولاه ، فخذله وقطع عنه رحمته واحسانه ـ وإن كان الباعث له عليها خوف ضرر يناله إذا قال الصدق وشهد بالحق ، فالصدق ينجيه ، وتقوى الله تحميه ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[1] .

قالت عائشة رضى الله عنها لمعاذ : «اتق الله فانك إذا اتقيت الله كفاك الناس . وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا فاتق الله أيها المسلم فى نفسك وفى امتك . اتق الله واجتنب قول الزور والزم الصدق . وانصر الحق واشهد بما رأيت ، بلا فرق بين القريب والبعيد والصديق والعدو ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**﴾[2]

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **(ألا**

(١) سورة النحل آية ١٢٨ .
(٢) سورة النساء آية ١٣٥ .

أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله ، قال : «الاشراك بالله . وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وقول الزور فمازال يكرهها حتى قلنا ليته سكت» متفق عليه .

وقال فى الثانية : أيها الناس : واجب المسلم أن يعدل فى كل شيء ، وأن ينصف الحق أينما كان . قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ الآية ، أى كونوا مواظبين على العدل فى جميع الأمور ، مجتهدين فى إقامته . لا يصرفكم عنه صارف ، شاهدين بالحق لله : بأن تقيموا شهاداتكم لوجه الله تعالى ، لا لغرض دنيوى ، ولو كانت الشهادة على أنفسكم ، أو على والديكم وأقاربكم لأن الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره ، ان يكن كل من المشهود له أو عليه غنيا يرجى خيره ويخشى ضره ، أو فقيرا يترحم ويحنى عليه ، فلا تجورروا فيها ميلا أو ترحماً ، ولا تشهدوا للغنى طلباً لرضاه ، ولا تمتنعوا من الشهادة عليه خوفاً منه ، أو على الفقير شفقة عليه ، فان الله تعالى أولى بالغنى والفقير وبالنظر لهما منكم ، فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما مصلحة لما شرعها . فراعوا أمر الله تعالى فانه أعلم بمصالح العباد منكم﴾ .[1]

---

(١) من هداية المرشدين ص ٤٤٠ .

خطبة للشيخ على محفوظ :

في التحذير من الغش فى المعاملات وسوء عاقبته :

الحمد لله الذى كرّم الانسان وأمره بالصدق والنصيحة والأمانة ، ونهاه عن الكذب والغش والخيانة ، لا اله الا هو الحكيم العليم . وأشهد أن لا إله إلّا الله الشديد البطش بالخائنين . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله تبرأ من الغش وحذر منه جماعة المسلمين اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والحافظين لحدود الله . أما بعد فيا أيها المسلمون : إن الأرزاق لا تكون بالخداع ولا بالمقدرة . وإنما هى كالآجال مقررة عند الله ومقدرة ، فلا يفوت العاجز رزقه ، ولا يحصّل فوق ما قسم له القادر القوى . فيا أيها الغاش هل يأتيك الغش برزق غير المقسوم ؟ ويا أيها الحالف بالايمان الكاذبة هل يأتيك الحلف المكذوب بشيء سوى ما أراده لك الحى القيوم ؟ «كلا» والله لا يصيبك فى الدنيا الا ما قضاه الله عليك . ولا ينالك منها الا ماقسمه الله لك . فما هذا التدليس الذى لا يكسبك الا شكا فى قضاء الله تعالى . وما ذاك الغش الذى لا يفيدك الا الوزر والخزى والعار . وما عاقبة ذلك كله الا ضياع الثقة وغمّ المصائب وهمّ الخسائر ــ فوالله ما تقدم عامل خان فى عمله . ولا نجح صانع دلس فى صناعته . ولا ربح تاجر غش فى تجارته ، وما هى الا أيام معدودة ثم تنصرف الناس عنه وتغلق فى وجهه أبواب الربح . وتذهب البركة من عمل يديه وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر ، أيها الناس : إن الغش لذنب كبير . لا يكون

الا من نفوس خبيثة طاغية وإن الايمان الكاذبة لا تصدر الا عن قلوب مظلمة قاسية . وكلاهما تغرير بالناس وتلاعب بالدين ، وخسران مبين . لقد أغضبت ربك أيها الحالف كذباً لترويج الصنعة أو البيع والشراء . وأما أنت أيها الغاش فقد تبرأ منك الحبيب المصطفى لِأكلِكَ أموال الناس بالباطل ، واهمالك لسنته ، واهمالك لدينه . وخروجك على ملته . برعت فى ضروب النصب والاحتيال ، وتفننت فى أنواع الغش والخداع ، لا تراعى مخلوقاً ولا تخشى خالقاً ، فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ يدخل الانسان على الصانع ، أو يقف المشترى أَمَامَ البائع ، فيسمع من الأيمان الكاذبة ما يخدعه به ، ويوهمه أن هذا الشيء لا نظير له ، وأنه أجود من صناعة أو بضاعة فلان وفلان ، وأرخص مما يباع فى جميع الحوانيت . والله يعلم انه لكاذب ،

﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ، أعد الله لهم عذابا شديداً انهم ساء ما كانوا يعلمون﴾[1]

ولقد صار الغش فى كل شيء حتى اللبن فى ضرع الحيوان . ولو أمكنهم أن يبيعوا التراب ذهباً لفعلوا بلا مبالاة ولا حياء ، ألا فليعلم الغاش أن كسبه سحت وحرام . وأن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وليعلم الحالف كذباً أن حقوق الذى خدعه محفوظة يستوفيها من حسناته فى يوم لا درهم فيه ولا دينار . أيها الناس : إن الصناع والتجار من أكثر الناس اعتماداً على الله ، يفتحون محلاتهم كل يوم

---

(١) سورة المجادلة آيتا ١٥ و ١٦ .

يبتغون من فضل الله ، لا يعتمدون على وظيفة ولا مرتب ، فما أحسنهم إذا كانوا أمناء صادقين. قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : **(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وما أسعدهم إذا هم قاموا بواجبهم نحو الله والناس ، ولم تشغلهم أعمالهم عن الله**

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1]

فيا أيها المسلم اتق الله وارض بما قسم الله لك ، واحفظ نفسك من الافلاس فى الدنيا ومن خزى يوم القيامة ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ؛

﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[2] .

فى الحديث القدسى يقول الله تعالى : **(عبدى إن رضيت بما قسمته لك أرحت نفسك وبدنك . وكنت عندى محموداً . وإن لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرّية ، ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندى مذموماً)** وفى صحيح مسلم **(أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : ما هذا يا صاحب**

(١) سورة النور آيتا ٣٧ و ٣٨ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٨١ .

الطعام ؟ قال أصابته السماء يا رسول الله قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس (من غشنا فليس منا) . وفيه أيضاً أن رسول الله ﷺ يقول : **(إياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق)** . أى يروج السلعة ثم يذهب البركة من كسب البائع .[1]

خطبة للشيخ البشير النيفى المفتى المالكى بتونس

خطبة فى تعمير الأرض بالغرس وغيره :

الحمد لله الّذى جعل الأرض قرارا . وجعل خلالها أنهارا . وأودع ظاهرها وباطنها من ضروب الخير كثارا . وضعها للأنام . فيها فاكهة والنّخل ذات الأكمام . والحب ذو العصف والريحان . فتبارك الّذى شملت رحمته الخليقة من إنسان وحيوان .

ونشهد أنّه الله الذّى لا إله إلّا هو . **﴿يسأله من فى السماوات والأَرْضِ كلَّ يومٍ هُوَ فى شأْنٍ﴾**[2]

يجيب داعيا . ويفكّ عانيا . ويقصم طاغياً ، ويذكر ساهياً . ويشفى سقيماً . ويكسب عديماً وكان الله على كلّ شىء قديرا . وبكل شىء عليما .

ونشهد أنّ سيّدنا ومولانا محمّداً عبده ورسوله ، سعد ببعثته الثقلان . صلّى عليه وعلى آله وصحبه والذين اتّبعوهم باحسان ، وسلّم تسليما .

أمّا بعد ، فيا أيُّها النّاس ، يقول الله مذكّراً بنعمته على خلقه .

---

(١) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٤٦٧ .
(٢) سورة الرحمن آية ٢٩ .

ومنبّها على تقصيرهم فى القيام بحقّه :

﴿ولقد مكنّاكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾[1] .

ذلك أن من نعم الله على الانسان أن مكّن له فى الأرض تمكيناً ، وجعل له عليها سلطانا مبينا . وسخّر ما فيها من ضروب الخيرات ، لمنافع الأفراد والجماعات . وجعل له فيها معايش وهى ما يكون به العيش من مطاعم ومشارب وغيرهما ، وما يتوصل به إلى ذلك مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، ويقتضيه ترقى الانسان فى مدارج العلم والعرفان ، ولكن النّاس قليلاً ما يشكرون .

وشكر النّعمة أن تعرف أنّها لمن أنعم بها ، معترفاً أنّه الّذى أسداها إليك ، ومنّ بها عليك ، ثمّ تحمده على فضله ، وتتصرّف بها وفق ما منحت من أجله ، من حفظ الصحّة البدنيّة ، والاستعانة بها على حفظ الحياة الروحيّة ، وما تتزكى به الأنفس وتسعد السعادة الأبديّة . والنّعم إذا شكرت قرّت ، وإذا كفرت فرّت . **﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾**[2]

فاحذر أيّها الانسان ، أن تتبدّل الكفر بالشكران ، فتبؤ بالخيبة والخسران . **﴿ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فانّ ربّى غنّى كريم﴾**[3]

(١) سورة الأعراف آية ١٠ .
(٢) سورة النحل آية ١١٢ .
(٣) سورة لقمان آية ١٢ .

واعلم أن الله بفضله ورحمته ، سخّر ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً لفائدة الانسان ومنفعته ، قال الله تعالى ﴿**ألم تر أنّ الله سخّر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة**﴾[1]

وممّا قيل فى النعم الظاهرة على الانسان ، كمال خلقته وصحّته ، وفى الباطنة عقله ومعرفته . وهو مروّى عن الضّحاك من مفسرى السّلف . فكمال خلق الانسان وصحته ، وعقله ومعرفته ، من أكبر أعوانه على الانتفاع بما سخّر الله له جلّت نعمته ، وبهرت حكمته . واذن فتوجيه العناية إلى الأرض باحياء مواتها ، واستخراج خيراتها ، والبحث عمّا بباطنها ، من مياهها ومعادنها ، إلى غيرهما مما أودع فيها فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم ، توجيه العناية إلى ذلك كلّه مما لا يصطدم بالدّين بل الدين يدعو إليه ، والله يتولى من أخلص فيه النيّة بالاثابة عليه .

وفى الحديث : (**من أحيا أرضاً ميّتة فله فيها أجر . وما أكلت العافية فهو له صدقة**) . رواه أحمد والنّسائى وابن حبّان فى صحيحه والضياء بسند صحيح عن جابر .

وفى «الترغيب والترهيب» للحافظ الأصفهانى باسناده أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (**من أحيا أرضاً ميّتة ثقة بالله واحتسابا كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له**)

وروى أحمد من طريق زيان : (**من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا**

---

(١) سورة لقمان آية ٢٠ .

اعتداء . أو غرس غرساً فى غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به) .

وفى الحديث الجمع بين تعمير الأرض بالبناء وغيره . وقد حكى القرآن عن صالح ــ عليه الصلاة والسّلام ــ أنّه قال لقومه : **﴿أعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**(١)

قال زيد بن أسلم : أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار . وقيل : المعنى ألهمكم عمارتها من الغرس والحرث وحفر الآبار وغيرها . وكان قوم صالح زرّاعا صنّاعا وبنّائين .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : **(لا يغرس مسلم غرساً ويزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا طائر ولا شيء إلّا كان له أجر)** رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن .

وروى البزار والبيهقى وأبونعيم من حديث أنس قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : **(سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره : من علّم علماً ، أو أجرى نهراً . أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولدا يستغفر له)** .

والحديث الشريف ينتظم جملة من الواجبات الدينية ، وفريقاً من المصالح التى عليها مدار الحياتين الروحيّة والبدنيّة . وللتفصيل مقامات . وإنّما الأعمال بالنيات .

---

(١) سورة هود آية ٦١ .

ويروى : «أنّ بعض الصحابة مرّ بأنصارى يغرس نخلاً . فقال : يا بن أخى إن بلغك أنّ الدجّال قد خرج فلا يمنعك من أن تلبأها» . أى لا يمنعنك خروجه عن غرسها وسقيها أول سقية . مأخوذ من اللبأ .

فتعمير الأرض باجراء الأنهار . وحفر الآبار . وغرس الأشجار . والبحث عما أودعها الله من خير جمّ . يكفى النّاس ما أهم . ويسعدهم على اصلاح شؤونهم ما خصّ منها وما عمّ . كلّ ذلك مما جاء به الكتاب وسنّة الرسول - ﷺ - .

فلنحمد الله على هذا الدّين . ولنأخذ بهدايته مغتبطين مجدّين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾(٢)

خطبة فى كفالة اليتامى والتحذير من استلحاقهم : للشيخ البشير النيفى المفتى المالكى بتونس :

الحمد لله الذى يرحم من عباده الرحماء ويجزى من جاء بالحسنة خيراً منها تفضلاً منه وكرماً . ويرفع الجزاء إلى سبعمائة ضعف بفضله العظيم . والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . نحمده سبحانه على ما أسدى من نعم . وحرّك لفعل الخير من همم . ونشهد أنّه اله واحد لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم . ونشهد أنّ

---

(٢) من نبرس المرشدين والآية ٥ من سورة القلم .

سيّدنا ومولانا محمّدا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، والآمر بتقوى الله فى الضعيفين : المرأة الأرملة والصبىّ اليتيم ، ﷺ أفضل الصّلاة وأزكى التسليم ، والتحيّة والرضوان على عترته الطاهرة ، وأزواجه اللائى يردن الله ورسوله والدار الآخرة ، وعلى أصحابه ليوث الملاحم ، والبحار الزاخرة بالمراحم .

أما بعد ، فيا أيُّها النّاس : يقول الله جلّ أمره ﴿**واحسنوا إنَّ الله يحبّ المحسنين**﴾[1]

ويقول صدق وعده ﴿**للّذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتّقين**﴾[2]

ويقول رسوله – ﷺ – : (**خير النّاس أنفعهم للناس**) . رواه القضاعى من حديث جابر ، وهو حديث حسن لغيره ويقول : (**الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**) . رواه البزار من حديث أنس والخطيب عن ابن مسعود وهو حديث حسن لغيره .

ومعنى عيال الله الفقراء إلى الله وهو الّذى يعولهم ، وأحبّهم إلى الله أنفعهم للخلق بهدايتهم إلى الله تعالى وتعليمهم ما يصلحهم والعطف عليهم . ثمّ ان النّاس يتفاوتون فى الحاجة إلى العطف ، بقدر تفاوتهم فيما هم عليه من الضعف ، ولذا كثرت الوصايا باليتيم ، فى أكثر من آية حكيمة وحديث كريم .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٥ .

(٢) سورة النحل آية ٣٠ .

قال الله تعالى ﴿**ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم**﴾ (١)

وقال ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى**﴾ (٢)

وجاء فى مقام الذم ﴿**كلا بل لا تكرمون اليتيم**﴾

وفى الحديث : (**اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة الأرملة ، والصبى اليتيم**) . رواه البيهقى عن أنس وهو حديث حسن .

هذه شذرات من تلكم الوصايا الالهيّة ، من بين آيات حكيمة وأحاديث سنّية ، ونحن نعلم أن مانزل بالسّاقية اليوسفيّة من قذائف العدوان الأثيم ، قد وفّر فى هذه الأمة من عدد المحتاج اليتيم ، وصار هؤلاء اليتامى فى حال اضطرار إلى من يقوم بتغذيتهم ، ويتولى ما كتب الله من ذلك ومن تعليمهم وتربيتهم ، ألا أن من يقوم بهذا الواجب لليتيم ، لفائز إن شاء الله بأجر كريم ، ورضوان عظيم ، ومنزلة سامية فى دار النّعيم ، ومن خلص عمله ، لم يخب أمله .

ألا يهزّنا أيّها المؤمنون قوله ﷺ فيما رواه سهل بن سعد ـ رضى الله عنه : (**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما**) . رواه البخارى وأبوداود والترمذى .

وقوله ﷺ ـ : (**من كفل يتيماً له ذا قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو فى الجنّة**) رواه البزار .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠ .

(٢) سورة النساء آية ٣٦ .

وقوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس : **(من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً فى سبيل الله)** .

وقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس أيضاً : **(من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة الّا أن يعمل ذنباً لا يغفر)** . رواه التّرمذى وقال حديث حسن صحيح .

ثمّ ليحذر الّذين يكفلون الأيتام . أن تذهب هذه الحسنة الكبرى بكبيرة من كبائر الآثام تلكم الكبيرة . وما أدراك ما تلكم الكبيرة ، كبيرة الاستلحاق اللعين ، الّتى يتردى فى هوّتها بعض الكافلين مع المكفولين ، حتّى يشملهم بهذا من الأحكام ما اختص الله به البنين ، مما لم ينزل الله به سلطاناً ، وإنّما تنزلت به الشّياطين .

وقد عرف هذا التبنّى فى الجاهلية ، ثمّ كان فيما قضى عليه الدّين . وقد أنزل الله فى إبطاله قوله :

﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدّين ومواليكم﴾[1]

وفى الحديث **(من استلحق شيئاً ليس منه حتّه الله حتّ الورق ، أى قطع الله نفعه مثل قطع نفع ورق الشجر بسقوطه .)** رواه المقدسى عن سعد .

جعلنى الله وإياكم من أهل البرّ والاحسان ، ووفقنى وإياكم

(١) سورة الأحزاب آية ٤ .

إلى ما يثمر التوبة والرضوان . وصرفنى وإياكم عمّا فيه شائبة الفسوق والعصيان .

إنّ خير ما تلاه التالون . وذكّر به الواعظون النّاصحون كتاب الله الّذى نحن به مهتدون وهادون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة . أولئك أصحاب الجنّة . هم فيها خالدون﴾ (١)

خطبة للشيخ البشير النيفى المفتى المالكى بتونس
فى التحذير من التهاون بقضاء الدين :

الحمد لله على اسعاده وامداده . وهو المسؤول أن يقينا شرّ التقصير فى حقه وحق عباده . والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد الذى هدانا سبيل الرشاد . وما به النجاة من قول وعمل فى المبدأ والمعاد . وعلى آله وصحبه وأهل محبّته ووداده .

أمّا بعد . فيا أيّها الناس : جاء عن نبيّنا سيّدنا محمّد ـ ﷺ أنّه قال : **(إنّ أعظم الذنوب عند الله «أى من أعظمها» أن يلقاه بها عبد . بعد الكبائر التى نهى الله عنها . أن يموت الرّجل وعليه دين لا يدع له قضاء)** . رواه أحمد وأبوداود عن أبى موسى الأشعرى . والحديث جيد حسن الاسناد .

فاستهانة الانسان بما عليه من الديون . حتّى يجيئه المنون . مما

---

(١) من نبراس المرشدين ص ٣٠٢ والآية من سورة يونس رقم ٢٦

لا يأتي به الّا الخاطئون . وقد نطق الحديث بأن هذا من أعظم الذنوب . والمراد المستخفّون المقصّرون . وقد تفشّى هذا الخلق للّعين ، وهو مما يمقته الدّين . وضعفت الحركات المالية إذ ساء الظنّ بالأمين .

وينتظم مع هذا الحديث حديث : **(من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ليس ثمّ دينار ولا درهم)** . أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر .

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمّد رسولك الأمين ، وارض عن آله وصحبه وأزواجه والتّابعين . اللّهم أغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا[1] .

---

(١) نبراس المرشدين لفضيلة الشيخ محمّد البشير النيفر ص ٤٠٣ .

خطبة الجمعة بالمسجد الحرام : ونشرت بمجلة أخبار العالم الاسلامى

ألقاها بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى ٩١هـ فضيلة الشيخ عبدالله خياط .

عندما تتشعب السبل وتظهر الفتن :

الحمد لله الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . أحمده سبحانه وهو الرب الكريم العظيم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . بعثه الله بالنهج القويم اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد . وعلى آله وصحبه .

أما بعد فيا عباد الله عندما تتشعب السبل وتظهر الفتن يردف بعضها بعضا وأعظم الفتن ما كان فى الدين يقع المسلم فى حيرة من أمره وخشية من عاقبته . لو سار فى السبل المتشعبة واندفع نحو الفتن المترادفة فيطلب الانقاذ ويجد الداعى إليه رب العزة إذ يقول :

﴿وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١)

وان أخطر ما يواجه المسلم فى أعقاب الزمن لسُبل المتعرجة التى لا توصل إلى غاية بل تدفع إلى الهاوية وعلى كل سبيل دعاة يدعون إليه تكثيراً لسوادهم وحرصاً على انتهاج مناهجهم كما جاء فى الحديث إذ يصف الرسول ﷺ واقع دعاة الضلال فيقول ــ دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها إنهم قوم من جلدتنا

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

يتكلمون بألسنتنا ـ أى أنهم يزينون للناس مذاهبهم ـ ويزوقونها بالبهارج الزائفة ـ وكم قد أضل هذا الفريق أقواما وخدعهم عن دينهم وسلوك سبيل ربهم ومن أمثلة أقوال أولئك المفتونين التى يخطب بها ويكتب فى جرأة دون مراعاة لشعور المسلمين وتقديسهم لدينهم ويقول فى القرآن برأيه وحسب مفهومه الضال معلقا على قول الله تبارك وتعالى :

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ (١)

يقول وبئس ما يقول إن ارسال النظر لا ضرر منه ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجة إمعان النظر ، ولو أخذنا الآية بظاهر حروفها فسوف نجد أن الحياة الطبيعية فى زماننا زمن الصدور العريانة والشعر المرسل سوف نجد أمرا صعبا أى من تطبيق الآية :

﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون لا كذبا﴾ (٢)

إن الحكمة فى غض البصر للمؤمنين والمؤمنات ما أوضحه الله بقوله فى نفس الآية :

﴿ذلك أزكى لهم﴾

فالتزكية هدف رفيع يطلبه كل عاقل رشيد إذ فيها سلامة دينه وشرفه وصدق الله وكذب دعاة وانصار الانطلاقة المجنونة وافظع من ذلك وأبشع الدعوة من التحلل من الدين وهدى المرسلين ـ والجحود لبارى الكون ومدبره وترويج كل ما يطبع وينشر من كتب الالحاد ودعايات الملحدين وإنكار البعث والمعاد والحشر والحساب

(١) سورة النور آية ٣٠ .

(٢) سورة الكهف آية ٥ .

وما إلى ذلك من عالم الغيب وانها يا عباد الله لردة عن الدين يروجها الملحدون .

﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (١)

تلكم يا عباد الله نماذج من السبل الملتوية التى حذر منها رب العزة عباده ونهاهم أن يسلكوا مسالك أهلها . وضروبٌ من الفتن التى اطلعت على الناس رؤوسها فى أعقاب الزمن . والتى أضحت خطراً على الأمة وعلى الشباب دعامة المجتمع المسلم . والتى صورها الرسول الكريم ﷺ فى حديث طويل فقال ـ وإن أمتكم هذه جعل الله عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها فمن أحبّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخى أى لم يفتن بالفتن التى ظهرت على الأمة فى أعقاب الزمن بل تمسك بدينه وقبض عليه كالقابض على الجمر وان رموه بالرجعية وسخروا من مسلكه أو تعرضوا له بأذى فلقد ضرب الله المثل للاحق بالسابق فى تمسكه بدينه وتعرضه للفتنة وصدقهم فى إيمانهم كما قال تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) سورة لعنكبوت آيات ١ ، ٢ ، ٣ .

فاتقوا الله عباد الله وحذار من سلوك السبل الملتوية والاندفاع نحو الفتن المتعاقبة فى مختلف دروبها ففى ذلك الضلال البعيد والخسران المبين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين.إذ قال له ربه اسلم ، قال اسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾[١]

نفعنى الله وإياكم بهدى كتابه ، أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

خطبة الجمعة بالمسجد الحرام : ونشرت بمجلة أخبار العالم الاسلامى

ألقاها بتاريخ ١٠ رمضان المبارك ٩١هـ فضيلة عبدالعزيز آل الشيخ .

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معين ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله نبى الهداية والرحمة فقد بلغ رسالة ربه ، وجمع الله به الشمل . ووحد به الكلمة ، وأنار به الطريق ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحابته أهل العلم والدعوة والجهاد .

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٠ .

أما بعد فيقول الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلّا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[1]

عباد الله الاسلام دين التوحيد دين الفطرة دين جميع الأنبياء والرسل لا يسع أحداً الخروج عنه .

﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾[2] **﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾**

وقد أخبر رسول الله ﷺ ، فى الحديث الصحيح أن الاسلام له أركان بنى عليها لا يكون العبد مسلماً حقاً الا إذا أقر بها وأداها كاملة أداها بايمان واخلاص . أركان خمسة . أولها شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام على من استطاع . فشهادة أن لا إله الا الله تحتم أن تؤدى جميع العبادات لله وحده . فلا دعاء الا له ولا استعانة الا بالله وحده ولا خوف ولا رجاء الا منه لا شفاعة لأحد الا باذن الله ورضاه . وما لم يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت فشهادته غير نافعة ما لم يتبع القول العمل . والطاغوت كل معبود غير الله . يقول رسول الله ـ ﷺ من قال لا إله إلّا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله . فبهذا الحديث لا يحرم الدم والمال حتى يضاف إلى شهادة أن لا إله الا الله الكفر بما

---

(١) سورة آل عمران آيتا ١٠٢ و ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٩ .

يعبد من دون الله . وهذا هو معنى لا إله إلّا الله حيث تثبت الالوهية وجميع العبادات لله وحده وتنفيها عن غير الله كائنا من كان وهي كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص وبالشهادتين يكون الاسلام إذا عمل بمقتضاها : شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم طاعته فى أمره حين يأمر وترك ما ينهى عنه حين ينهى تستلزم تحكم شريعته وقبول حكمه والرضى به والتحاكم إليه ـ ﷺ .

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [(١)]

﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [(٢)]

الصلوات الخمس فى اليوم والليلة فريضة والركن الأهم فى الاسلام بعد الشهادتين أداؤها تامة وباخلاص شرط لصحتها فريضة مقبولة إذا أديتْ لله بايمان وخشوع تنهى عن كل فحشاء ومنكر والا لم تكن صلاة مقبولة ولم تُؤدَّ هذا الركن من اسلامنا أداء صحيحاً .

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [(٣)]

فكيف يصح اسلام من تركها بعد كل ذلك فأداؤها جماعة فى بيوت الله واجب لا يجوز التخلف عنه بدون عذر وفى أدائها جماعة التزام وارتباط مع جماعة المسلمين فى وقت محدد وفيه توجيه وتدريب على الطاعة والاقتداء فيه اتصال باخواته المسلمين وتفقد لأحوالهم والمتخلف عن الجماعة يفوته الأجر الكثير وقد يؤخرها عن

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

(٢) سورة الحشر آية ٧ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

وقتها حيث لا التزام ولا ارتباط . زكاة المال ركن الاسلام متى ما أخرجت بإيمان واخلاص طاعة لله طهّرت المال وزكّت النفس وابعدتها عن البخل والشح حق للفقراء والمساكين ومن ذكرهم الله فى قوله :

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل﴾[٤]

جزء يسير من المال على من يسره الله عليه متى أخرج باخلاص وبطيب نفس ووصله إلى مستحقه من ضعفاء ومحاويج طابت نفوسهم واطمأنت وطهرت نفس المزكى ونمى ماله وحفظ من الآفات فاتقوا الله عباد الله وأتوا زكاة أموالكم يبارك لكم فيها ويصلح الله لكم أعمالكم اجيبوا داعى الله واخلصوا له النية والعمل ، صوم شهر رمضان أحد أركان الاسلام أجر صومه كبير والجزاء عليه عظيم الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة أعمال العباد لهم الا الصوم فانه والله يتقبله من عباده ويثيبهم عليه والله عنده حسن الثواب يدع الانسان طعامه وشرابه ويمنع نفسه عن الشهوات تقرباً إلى ربه وتعبداً له يرجو رحمته وعفوه وَبِرَّهُ بالصوم تصح الأجسام وتزكو النفوس وتعتاد الصبر وتحمل المشاق بالصوم يعرف المسلم نِعَم الله عليه ويتذكر حالة الفقراء والبائسين فيعطف عليهم ويبادر إلى سَدِّ حاجتهم ومواساتهم خامس أركان الاسلام حج بيت الله لمن يستطيع السبيل إليه يقول الله تعالى :

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠ .

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1]
والسبيل الاستطاعة بالمال والبدن فالحج يا عباد الله إلى بيت الله العتيق فريضة فى الاسلام فى العمر مرة وبعدها تطوع يكفر الله به الذنوب ويعفو به عن السيئات ويضاعف به وبالأعمال الصالحة الحسنات فالحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة . فاتقوا الله عباد الله وأدوا ما فرض الله عليكم باخلاص وعن إيمان اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[2]

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم . أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم من كل ذنب فاستغفروه . إنه الغفور الرحيم .

خطبة الجمعة بالمسجد الحرام . ونشرت بمجلة أخبار العالم الاسلامى

ألقاها بتاريخ ٢٠ رجب ٩١هـ فضيلة الشيخ محمد بن سبيل .

«الاحسان إلى الجيران وكف الأذى عنهم»

الحمد لله الذى أسعد بجواره من خافه ورجاه ومن بجنته على من امتثل أمره واتقاه أحمده سبحانه حمد معترف له بنعمائه واشكره على ما أولاه وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن

---

(١) سورة آل عمران ٩٧ .
(٢) سورة الحج آية ٧٧ .

محمداً عبده ورسوله المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الحنفا وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد فيا عباد الله . اتقوا الله حق تقواه واعلموا ان المؤمن الصادق فى إيمانه حذّر فى كل أحواله يراقب ربه ويخاف من سطوته ويتبع أوامره ويتجنب نواهيه يسابق إلى الخيرات ويتجنب المنكرات يحب فى الله ويبغض فى الله ويعادى فى الله ويوالى فى الله يأتمر حيث أمره وينتهى حيث نهاه الا وان مما أمر الله به وحث رسوله عليه ﷺ حفظ الجوار ومعرفة حقه والقيام به امتثالاً لأمر الله وعملاً بقول رسوله ﷺ .

فقد قال الله عز وجل :

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب ...﴾ (١)

وقد قال رسول الله ﷺ : «**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» .

وقال عليه الصلاة والسلام «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**» .

وقوله عليه الصلاة والسلام «**لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه**»

عباد الله . إن للجار حقوقاً على جاره أوجبها الشارع وحث عليها إن القيام بها من الدين ومن المروءة ومن مكارم الأخلاق ومن كمال الايمان إن الاحسان إلى الجيران وتفقد أحوالهم ورعاية شؤونهم

---

(١) سورة النساء آية ٣٦

والعطف عليهم والتلطف بهم وارشادهم ونصحهم والاهتمام بأمورهم بما أمرنا به ديننا إن الشريعة الاسلامية كما جعلت للقريب حقاً على قريبه فقد جعلت للجار حقاً على جاره فعليك أيها المسلم بمعرفة حق جارك والقيام به لتمتثل أوامر ربك وارشاد نبيك وتحرز السمعة الحسنة وتنال الأجر من الله وتكمل إيمانك لقوله عليه الصلاة والسلام ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . أيها المسلم : لا تستكثر حق جارك مهما عملت معه فلك فى الاحسان إليه المكانة العالية والمنزلة الرفيعة والأجر الوافر لقد أكد المصطفى حقه امتثالاً لوحي ربه فقد قال عليه الصلاة والسلام ، مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ، عباد الله : إن أذية الجار من الأمور المحرمة ومن الأدلة على عدم الوفاء وعدم كما الايمان ومن قلة المروءة ومن ضعف الوازع الدينى أن التقصير بحقوق الجوار ليس من أخلاق الكرام ولا من صفات المؤمنين إنه خلاف طريقة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم إنه مخالف لهدى صحابته الكرام الذين يؤثرون على أنفسهم يؤثرون ضيوفهم ويؤثرون جيرانهم يواسونهم فى نفعهم ويكفون عنهم أذيتهم خيرهم لجارهم مبذول وشرهم عنه معزول إن بدرت منه بادرة سوء تحملوا وصبروا وإن نالهم منه إحسان كافأوه وشكروه . إن الاحسان إلى الجار والصبر على ما ينالك منه من علامة توفيق الله لك ومن أسباب الفلاح والنجاح تحصل لك محبة الله محبة عباد الله المؤمنين يشكرك على ذلك جيرانك وغيرهم يحمدك الناس ويثنون عليك ويشكرك على فعلك واحسانك من لا يناله معروفك وبعكس ذلك من يؤذى

جيرانه يبغضه جيرانه ويكرهه الناس على سوء فعله يشتمونه ويدعون عليه ويلومونه على ذلك جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة أطرح متاعك فى الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود .

إن من حقوق الجيران كفّ الأذى عنهم ، وبذل الندى لهم . واستعمال الرفق بهم . واسداء الخير والمعروف لهم واظهار البشر والسرور فيما يسرهم وتعزيتهم بمصيبتهم وعيادة مريضهم وحضور دعوتهم وملاطفتهم ، والاحسان إلى صغيرهم وكبيرهم بالقول اللين والبشاشة وبذل ما تقدر عليه من مساعدتهم بمالك وجاهك ولسانك وكف أذاك عنهم فإن إذاية الجار سبب من أسباب عذاب النار يروى أنه قيل للنبي ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال رسول الله **هي فى النار** .

﴿فاتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[1]

نفعنى الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدى سيد المرسلين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨١ .

الفهرس

فهرس الجزء الثانى من الكتاب :

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
١٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبويه فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشامله فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]

الكتاب	المؤلف
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فودة]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ **الأسلام والنظر فى آيات الله الكونية**	[الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	[د. البدراوى عبدالوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ ـ معجزة خلق الإنسان	[د. عبد الرحمن عثمان]

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة